أكرم بركات

سفينة العقل

رحلة باحث عن الحقيقة

بيت السراج
بيروت | لبنان

أكرم بركات
سفينة العقل رحلة باحث عن الحقيقة
بيت السراج للثقافة والنشر

سفينة العقل

رحلة باحث عن الحقيقة

اسم الكتاب: سفينــة العقل رحلة باحث عن الحقيقة
الـكـاتـب: أكرم بركات
الـنـاشر: بيت السراج للثقافة والنشر
الـطـبـعـة: الثانية 1441 هـ - 2019م
جميع حقوق الطبع محفوظة©

سفينة العقل

رحلة باحث عن الحقيقة

بقَلمْ

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أصل هذا الكتاب محاضرات ألقيتها في مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف في شهر رمضان من العام 2016م، أردت من خلالها أن أعرض العقيدة الدينيّة التي اقتنعت بها، وذلك بتجريد نفسي من جميع القبليّات السابقة التي راكمتُها في حياتي، والابتداء من نقطة الصفر العقديَّة، وبالتالي فإنّ الموجِّه لي كان عقلي الذي انطلقتُ في سفينته، وبقيت معه وحده، أطرح به السؤال عليه، وانتظر الجواب منه وحده، حتى أرشدني هو إلى أداة معرفيّة أخرى، هي النصّ الدينيّ الذي حاولت التعرُّف عليه جيدًا وقراءته بتجرّد وموضوعيّة حتى توصّلت إلى نتائج عرفت من خلالها ما عليَّ أن أقوم به في حياتي، بما يحقّق هدوء روحي، واطمئنان نفسي، وبالتالي سعادتي.

وفي هذه المحاضرات سردتُ رحلتي المعرفيّة هذه، من العقل إلى النصّ إلى لحظة وصول سفينة بحثي إلى مرسى الهدف الذي وُجدت لأجله، في بناءٍ يشبه الهيكل العظميّ قبل كسوه باللحم، بحيث لم أستعن بأيّ نصٍّ دليلاً على أمرٍ ما، قبل أن يُثْبت العقل اعتبار ذلك

النصّ، ولم أتعرّض في هذه الرّحلة لِكثيرٍ من الأسئلة العقديّة التي أعتبرها بمثابة اللحم الذي يُكسى به هيكل العظم؛ فإنّ تلك الأسئلة يمكن أن يُجاب عنها من النصّ الواضح في دلالته بعد إثبات اعتباره وصحّته.

وقد وفّقني الله عزّ وجلّ أخيرًا، لكتابة تلك المحاضرات، وإعادة تبويبها بما يتناسب مع عرضها في كتابٍ حاولت فيه، قدر الإمكان، أن يكون واضح البيان، سهل الأسلوب، وإن لم أتوفّق في بعض الأحيان لذلك، فقد يكون السبب قصورًا منّي، أو يكمن في دقّة بعض المطالب التي يصعب توضيحها وتبسيطها بما يتلاءم مع جميع مستويات القرّاء.

وأخيرًا، أرجو أن أكون قد قدّمت ما ينفع الناس، لا سيّما الشابّات والشبّان الذين تُشنّ عليهم حروبٌ ناعمة، منها ما يستهدف بنيتهم العقديّة، لتحويلهم إلى مشكّكين لا أدريّين، على الأقلِّ، ليجرِّدوهم بذلك من مكمن قوّتهم التي صنعت التحوّلات في التاريخ والحاضر.

أسأل الله القبول، وأرجو من القرّاء الكرام إبداء ملاحظاتهم ومداخلاتهم على ما ورد في هذا الكتاب، على مواقع التواصل الاجتماعيّ التي تحمل اسم الكتاب ذاته.

أكرم بركات

بيروت- رجب 1440 هـ

آذار 2019 م

مرفأ الانطلاق

- ما أنا؟
- هل أحدٌ خلقني؟

الأسئلة الأُولى

أنا اليوم في القرن الواحد والعشرين، أريد أن أتجرّد عن كلّ ما تعلّمتُه، ولُقِّنته، واعتقدت به خلال حياتي السّابقة.

إنّي أفترض أنّي وُلدت في هذا اليوم، لكنّي لم أولد طفلاً، بل ولدت كما أنا عليه الآن، بكامل قواي المعرفيّة، إضافةً إلى معلوماتي حول التطوُّرات العلميّة الهائلة التي وصل إليها الإنسان في هذا القرن.

أنا أتجرّد الآن عن كلِّ قبليَّاتي الاعتقاديّة السّابقة، وأنطلق كأنّي خرجتُ لتوّي من مغارة ظلماء نضجتْ فيها قواي المعرفيّة؛ لأشاهد هذا الكون الرّحب بسمائه وأرضه، بأشجاره وبحره وأنهاره، بحيواناته الدابّة والزاحفة والطائرة، بسائر جماداته المتنوّعة، وبناسه الذين أنا واحد منهم، فما هي الأسئلة الأُولى التي ترد إلى ذهني بعد التأمُّل بهذا الكون وما فيه، وأنا ممَّا فيه؟

1. ما أنا؟[1]
2. ما الفرق بيني وبين سائر الموجودات الأخرى؟

---

(1) التعبير بـ «ما» بدل «من» مقصود.

3. هل أحدٌ ما خلقني؟
4. ماذا عليّ أن أفعل؟
5. هل أنا الذي أُحدِّد ما عليّ أن أفعله، أو هناك مَنْ خلقني، وهو الذي يُرشدني إلى ما يجب فعله؟
6. إن كان هناك خالق يريد منّي تحقيق شيء ما، كيف أعرف ما يريده؟
7. هل تنتهي حياتي بموتي، فتكون السّاحة التي عليّ أن أراعيها في مساري هي فقط هذه الحياة التي أراها في هذا الكون، أو أنّ هناك حياة أخرى لا تطالها حواسّي استمرٌّ فيها بعد موتي، وبالتّالي لا بدّ أن أراعيها أيضاً؟

أبدأ بالإجابة عن السؤالين الأوّل والثاني معاً؛ لشدّة ووثاقة ارتباطهما.

السؤالان الأوّل والثاني

1. ما أنا؟
2. ما الفرق بيني وبين سائر الموجودات الأخرى؟

لمعرفة الإجابة لا بدّ من إحصاء الموجودات التي أعرفها من خلال حواسِّي، والتي يمكن عرضها بأربعة أنواع[1] هي:

1- الجماد
2- النبات
3- الحيوان
4- الإنسان

(1) لا يراد من النوع التعبير المنطقي الخاصّ، بل الأعمّ.

خصائص النبات عن الجماد

يفترق الجماد عن الأنواع الثلاثة، بحسب الشائع، بالنموّ، فهي تنمو بخلاف الجماد، ولكن يمكن تفصيل الفارق بينها بالحياة، فالنبات فضلاً عن الحيوان والإنسان يتميّز بحياة حدّد خصائصَها مقالٌ علميٌّ في الموقع الرسميّ لجامعة كامبردج البريطانية بأمور سبعة هي:

1. الحركة.
2. التنفّس.
3. النموّ (بمعنى استعمال الغذاء لنموّ الخلايا حجمًا وعددًا).
4. الإحساس (بمعنى ردّة الفعل تجاه أيّ مؤثّرٍ خارجيٍّ كالضّوء، والحرارة، والجاذبيّة، والموادّ الكيميائيّة).
5. التكاثر.
6. التغذية.
7. التخلّص من الفضلات[1].

خصائص الحيوان عن النبات والجماد

أمّا الحيوان، فيتميّز من النبات، إضافةً إلى الجماد، بخصائص ثلاث، هي:

1. الحسّ، وهو يختلف عن الإحساس السابق في النبات؛ إذ المراد منه القوّة الإدراكيّة للبصر والسّمع واللّمس والشمّ والذّوق، باختلاف الحيوانات في اجتماع هذه الحواسّ جميعاً، أو بفقدان بعضها.

(1) Nge pathimo kadhila. CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS-NSSC BIOLOGY MODELE/I/UK

2. الخيال، أو القوّة المتخيّلة، وهي القوّة التي تتصرّف في الصّور الحسّية الموجودة في الذّهن[1]، فالقطّة حينما تريد أن تقفز فوق جدار، فإنّها تنظر إليه بعينيها وتحدِّد ارتفاعه، وعلى أساس ذلك تدفع نفسها بالطّاقة المناسبة التي تحقِّق القفز الناجح.وهكذا نرى الفهد يتباطأ أثناء مراقبته فريسته المتوقّعة، فإذا صار على بعد أمتارٍ يقفز بسرعة ليُمسك بها. كلّ ذلك يحصل من خلال القوّة المتخيّلة أو الخيال.

3. الوهم، أو القوّة المتوهِّمة، وهي، بحسب اصطلاح المناطقة، القوّة التي تُدرك المعاني الجزئيّة، كإدراك الشّبل لحبّ أمّه اللّبوة، والفصيل لحبِّ أمِّه النَّاقة. ومن خلال هذه القوّة تعرف الشاةُ أنّ ولدها حبيبها، وأنَّ الذئب عدوّها، وأنّ المتعهِّد بعلفها صديقها.

الكلب الحنون

في مشهد لافت وأثناء استعراض من الشرطة للكلاب البوليسيّة، انقضَّ كلبٌ على كلبٍ آخر وعضَّه بقوّة، فاقترب مدرِّبه ناحيته وزجره على ما فعل، وضربه بيده، فما كان من الكلب إلاّ أن لحق مدرِّبه يحنو عليه بهيئة المعتذِر، فلم يكترث المدرِّب له، وبقي الكلب يحاول مرةً بعد أخرى، أمام المشاهدين لذلك العرض، أن يسترضي صاحبه ممرِّغاً جسده به، لكنه لم يستطع استرضاءه، فنظر الكلب إلى مدرِّبه

(1) وكذا تتصرّف في المعاني الجزئيّة المنتزعة من صور المحسوسات (الإيجي، عضد الدين، المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1997، ج2، ص 588).

بهيئة الحزين، وفجأة انهملت دموعه وسط مفاجأة الحضور. إنّه شعور بالحبِّ لمدرِّبه من خلال قوّة الوهم.

وقوّة الوهم هذه لا تتوقّف عند مجرّد إدراك المعاني الجزئيّة، بل تتعدّى ذلك إلى التخطيط من خلال وجوهٍ من الحيل للوصول إلى الغاية المطلوبة، كما يظهر ذلك من هذين المثالين:

الطّائر الماكر

حدّثني أحد أصدقائي الذين زاروا سويسرا، أنّه رأى طائراً يقف على عمود إشارات السير، وفي فمه حبّة جوز، وحينما أضاءت الإشارة الحمراء، وقفت السيّارات، فنزل الطائر، ووضع حبّة الجوز تحت دولاب سيارة واقفة، ورجع إلى قمّة ذلك العمود إلى أن أضاءت الإشارة الخضراء، وسارت السيارات، وبالتالي كُسِرت حبّة الجوز تحت إطار تلك السيارة، ولما أضاءت الإشارة الحمراء مرَّة أخرى، وتوقّفت السيارات، نزل الطائر إلى الأرض ليأكل فتات تلك الحبَّة من الجوز[1].

إنّ ما قام به هذا الطائر ينطلق من قوّة الوهم التي لديه، والتي من خلالها استنبط ذلك المكر وتلك الحيلة.

الطّائر الصائد

شاهدت مقطع فيلم وثائقيّ يصوِّر طائراً على ضفّة نهر يحمل في منقاره شيئاً جَلَبَهُ من الغابة يبدو أنّ السمك يرغب في أكله. رمى

---

(1) www.youtube.com/watch?v=oLA50kymud8

الطائر ذلك الشيء في النهر، وأخذ ينتظر إلى أن أتت سمكة لتأكله، فانقضّ عليها واصطادها[1].

ميزة الإنسان من الحيوان

يشترك الإنسان مع الحيوانات في الخصائص الثلاث المتقدِّمة، فالإنسان يرى ويسمع ويشمّ ويذوق ويلمس، كما أنّه يتصرّف في الصّور والمحسوسات، فهو حينما يريد النزول بوساطة «**الدّرج**»، فإنّه يقيس ارتفاع الدرجة عن الأخرى، وينزل بالقوّة المناسبة لتلك الدرجة، هذا في إدراكه للمادّة، أمّا في إدراكه للمعاني، فهو يدرك المعنى الجزئيّ منه منذ طفولته، فالطفل يدرك حبَّه لأمِّه فينجذب إليها، ويتعلّق بها، كما أنّه منذ صغره يُخطِّط لتحقيق مآربه وغاياته.

إذاً، الحسّ والخيال والوهم من القوى المشتركة بين الحيوان والإنسان، إلاّ أنّ الإنسان يتميّز من الحيوان بخاصّية من خلالها تطوّر الإنسان، وبقي الحيوان كما كان عليه في الماضي.

فالملاحَظ أنّ الحيوانات في الغابات وغيرها ما زالت كما كانت عليه منذ الزمان القديم، بخلاف الإنسان الذي استطاع أن يطوِّر نفسه ومجتمعه وبيئته بالتطوُّرات الهائلة التي وصل إليها في القرن الواحد والعشرين، فما هو سرُّ هذا التطوّر؟

(1) www.youtube.com/watch?v=UNw7GH325U

إنّه بالتأمّل، قوّة رابعة تسمى «العقل» الذي يتميَّز بميزتين:

الأولى: أنّه يدير دفَّة المدركات الحسّيّة والخياليّة والوهميّة، ويُميِّز الصحيح منها من الفاسد[1]؛ فالعين، مثلاً، قد ترى الكوكب البعيد عن الأرض صغيراً، لكنَّ العقل يصوِّب ذلك، ويصحِّح الإدراك الخاطئ الناتج من الحسّ.

الثّانية: أنّه يدرك المعاني الكلّيّة، متجاوزاً في ذلك الحيوان الذي يقتصر إدراكه للمعاني على الجزئيّة منها فقط؛ فالحيوان يدرك حبّ أمّه، وبغض عدوّه، لكنّه لا يدرك المعنى الكلّي والعامّ للحبّ والبغض، وهو يرى الأشجار، لكنّه لا يدرك المعنى العامّ للشجرة.

بينما نلاحظ أنّ الإنسان حينما يرى، مثلاً، شجرة الزيتون، وشجرة التين، والتّفّاح، فإنّه يستطيع بذهنه أن يجرِّد (يقشِّر) كلّ شجرة عن ما يخصّها بالذات، ويدرك المعنى المشترك بين هذه الأشجار، فيطلق عليه: «**شجرة**»، والذي يُعبِّر عنه في الاصطلاح الأدبيّ بـ اسم الجنس، وهكذا يجرِّد (يقشِّر) خصائص زيد وحسّان وليلى ووسيم، ويدرك المعنى العامّ للإنسان.

ومن خلال إدراك الإنسان للكليّات أسَّس القواعد العامّة التي في ضوئها تطوّرت الحياة البشريّة، فعلوم الرياضيّات والهندسة والفيزياء والكيمياء وغيرها ما هي إلاّ قواعد عامّة أدركها العقل، ومن خلالها حصل هذا التطوّر الهائل الذي نشهده.

---

(1) انظر: المظفر، محمد رضا، المنطق، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (لا،ط)، قم، (لا،ت)، ص 7.

من هنا صحَّ أنّ الإنسان يتميَّز من غيره من الحيوانات بالعقل.

لذا يفسِّر المناطقة قولهم: «**الإنسان حيوان ناطق**» بأنّه عاقل مدرك للكلّيات، فالنطق عندهم هنا هو بالمعنى الباطنيّ، لا الظاهريّ المعروف.

إذًا، الذي يتميّز به الإنسان من الحيوان هو هذا العقل، الذي اعتبر بعض الفلاسفة أنّه «**نفسُ الإنسان المدرِك**»[1].

الإجابة عن السؤالين الأوّل والثّاني

بما تقدّم أستطيع أن أجيب عن السؤال الأوّل الذي كان مفاده: ما أنا؟ والثاني الذي كانت صيغته: ما الفرق بيني وبين سائر الموجودات؟ أنا إنسان لديّ جسم ينمو، يتحرّك، لديّ قوىً من خلالها أحسّ وأتصرّف بالصّور المحسوسة، وأدرك العديد من المعاني الجزئيّة، كما أنّ لديّ عقلاً أتميّز به من سائر الموجودات التي شاهدتها، وعقلي يصوِّب مدركاتي تلك، وهو أيضاً يدرك المعاني الكليّة.

وباختصار: أنا جسم نام، حسَّاس، متحرِّك بالإرادة، عاقل.

الخلاصة

لديّ، كإنسان، أربع أدوات للمعرفة هي:

1. الحسّ 2. الخيال 3. الوهم 4. العقل

(1) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (لا،ط)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، (لا،ت)، ج1، ص 405.

أُريد أن أستفيد من هذه الأدوات المعرفيّة للإجابة عن الأسئلة اللَّاحقة.

لكن قبل الدخول في الإجابات عن الأسئلة السّابقة (3-4-5-6-7)، لا بدّ من ملاحظة أنّ بعض الناس قد يُبدي تعجّبه من طرحها، وأنّه لا داعي لها، ولا طائل منها. وهذا ما يدعوني للإجابة عن طرح اللَّامبالاة، قبل الدخول في الإجابات عن الأسئلة السّابقة.

لماذا أسأل؟

تقدّم أنّ بعض الناس قد يدعو إلى إغلاق باب هذه الأسئلة، والانصراف إلى التعلّم والعمل بما ينفع الإنسان في هذه الحياة، فصرفُ الوقت في البحث عن أجوبة لمثل هذه الأسئلة هو تضييع لوقت الناس، بل إنّ الأسئلة السابقة قد تُحدِث في الإنسان قلقًا معرفيًا تَحرِفه عن أولويّاته في هذه الحياة، لذا فمن الأفضل أن يكون الموقف هو : اللّامبالاة.

لكن، أليس الأمر بعكس ما تقدَّم؟ أليس الإنسان العاقل السويّ يجد في داخل نفسه شغفًا وحبًّا يحرِّكه نحو الاستطلاع في الأمور المهمّة، وذلك لما تسبِّبه مجهوليّة الشيء، وعدم معرفته من قلق قلبيّ يبعده عن الاطمئنان، وبالتالي عن الشّعور بالسّعادة التّامة؟

وإضافةً إلى ذلك، فإنّ هناك أموراً تدفع الإنسان نحو تلك الأسئلة، منها:

1. دفع الضرر المحتمل

لو ركن أحدٌ سيّارته في القرية، وترك نافذتها مفتوحة، وفي صباح

اليوم التالي أراد أن يقودها ليعود بها إلى بيروت، وقبل أن يصعد جاء جاره، وقال له: التفت، لقد رأيت أفعى سامّة تدخل إلى سيارتك عبر النافذة.

فهل تراه لا يعبأ بما قاله الجار، أو أنّه يحتاط ويبحث عن حقيقة ما أخبره به؛ ليقتل الأفعى، أو يطردها في حال كونها موجودة فعلاً؟

إنّ العاقل - في ما نعرفه من سيرة العقلاء وحياتهم- لا يصعد إلى السيارة قبل أن يطمئنّ إلى عدم وجود الأفعى فيها.مع أنّ وجودها، بسبب خبر الجار هو احتمال غير يقينيّ، ومع ذلك فإنّه يبحث عن الأفعى ليطمئنّ قلبه، ويشعر بالأمان؛ والسّبب في ذلك هو قاعدة مستقاة من منهج العقلاء وسيرهم العمليّ، وهي: إنّ ما يحرِّك الإنسان هو قوّة المحتمَل، وليس قوّة الاحتمال.

ولتوضيح القاعدة أضرب المثال الآتي:

لو أنّ رجلاً كان يسير على درّاجة في الشارع، فاحتمل بنسبة 70%، أثناء مسيره، أنّ قطعة ماليّة متدنِّية القيمة - ولنفترض أنّها خمسون ليرة لبنانيّة - قد وقعت منه، فإنّنا نجد أنّ هذا الرجل لا يتوقّف، بل يتابع مسيره، مع أنّ الاحتمال هو 70%، لكنّ المحتمَل هو 50 ليرة لبنانيّة. بينما لو أنّ هذا الرجل احتمل أثناء مسيره بنسبة 5%، وقوع مليون ليرة لبنانيّة منه، فإنّنا نجده يتوقّف بلا تردّد، مع أنَّ احتمال الوقوع هو 5%، لكن المحتمَل هو مليون ليرة.

وتفسير هذا أنّ المحرِّك للإنسان ليس قوّة الاحتمال، فاحتمال بنسبة 70% لم يحرِّكه، لكن احتمال 5% حرَّكه. فالمحرِّك له هو قوّة المحتمَل؛ فالذي حرَّكه هو المليون ليرة، بينما لم تحركه الخمسون ليرة.

وعليه نفهم ما معنى كون المحرِّك للإنسان هو قوّة المحتمَل لا قوّة الاحتمال.

بناءً على ما تقدّم، فإنّنا نعلم أنّ هناك رجالاً كثيرين في التاريخ عرّفوا عن أنفسهم بأنّهم رسل الله الذي خلق الإنسان وكلَّ هذا الكون، وهو الربّ ومدبِّر أمر جميع المخلوقات، وأنّ هناك عالماً آخر غير هذه الدنيا سوف يؤول مصير الإنسان إليه بعد موته، وأنّ ذلك العالَم فيه جنة يُثاب فيها المؤمنون بالله العاملون بالرسالة التي أتى بها أولئك الرّسل، والتي يعبَّر عنها بالدين. وفيه أيضاً نار يعاقَب فيها غير المؤمنين بالله، والذين ابتعدوا عن دينه في أعمالهم، فعصوا بذلك ربّهم، وهي نار عظيمة عذابها رهيب.

نماذج لما تقدّم

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[1].

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾[2].

(1) سورة البقرة، الآية 25.

(2) سورة الحجّ، الآية 19.

ألا يدعو هذا المحتمَل أن يبحث الإنسان عن ذلك الطرح بغضّ النّظر عن نسبة الاحتمال فيه؟!!! والتي ترتفع وتتصاعد حينما نعلم أنّ أولئك الرجال (الرسل) عُرِفوا بصلاح السيرة، والتّضحية في سبيل دعوتهم، والثبات عليها، رغم ما تعرّضوا له من اضطهاد وتعنيف.

إنّ ما يعزّز البحث عن الدّين في ضوء ما تقدّم، المقارنة بين مصير المؤمن بالله العامل بالدين، والملحد به، فبعد موت الإنسان، والذي من المفترض أن تنكشف فيه الحقيقة، فإنَّ هناك احتمالين:

الأوّل: أن تكون الحقيقة عدم وجود إله، وبالتالي عدم وجود آخرة، وعليه فمصير كلّ من المؤمن والملحد واحد لا عذاب ولا ثواب.

الثاني: أن تكون الحقيقة هي أنّ الله موجود، ويوجد بعد الموت ما تحدّث عنه أولئك الرجال (الرسل)، وعليه فمصير الملحد هو حرمانه النّعيم واستحقاقه للعقاب، ومصير المؤمن هو الجنّة والثواب.

وبالتالي: المؤمن إمّا رابح، أو هو لا رابح ولا خاسر. أمّا الملحد فهو إمّا خاسر، وإمّا لا رابح ولا خاسر.

إنَّ ما تقدّم هو مضمون حوار حصل بين عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (الإمام الثامن للمسلمين الشيعة)، وأحد الملحدين، ففي الحوار الّذي جرى بينهما، قال له الرضا: «**أيّها الرجل، أرأيت إنْ كان القول قولكم، وليس هو كما تقولون، ألسنا وإياكم شرعًا**

سواء، لا يضرّنا ما صلّينا، وصمنا، وزكّينا، وأقررنا، فسكت الرجل، ثمّ قال الرضا: وإنْ كان القول قولنا، وهو قولنا، ألستم قد هلكتم ونجونا؟!!»[1].

وقد نظَم بعض الشعراء تلك المقارنة في بيتي شعر قال فيهما:

قال المنجِّمُ والطبيب كـــلاهما   أنْ لا إله، فقلت ذاك إليكــما
إن صحّ ظنّكما فلستُ بخاسرٍ   أو صحّ ظنّي فالوبال عليكما

2. حبّ السّعادة الأبديّة

إنّ كلّ إنسان يسعى نحو السعادة، وهي غايته منذ نعومة أظفاره، فإنّه يقصدها من بداية حبوه، إلى مشيه، إلى نطقه، وهي غايته في تعلّمه، وجمعه للمال، وبنائه للمسكن الجميل، وارتدائه للثوب الأنيق، وحبّه للجاه العريض، وسعيه للشهرة الواسعة، وعلاقاته بالآخرين، وفي هذا الإنسان نفسه شغفٌ وحبٌّ أن تدوم سعادته للأبد، وأن يخلد في ظلِّها.

أمام ما تقدَّم، يسمع الإنسان صوت الدِّين يجهر بأنّ السعادة الحقيقيّة الخالدة لا تكون إلّا من خلال الإيمان بالله والالتزام بتعاليمه. ألا يكون هذا دافعًا ليبحث عن تلك الأسئلة، لعلّه يحصل على السعادة الخالدة؟

(1) الكليني، محمد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط5، طهران، دار الكتب الإسلامية، 1363هـ.ش، ج1، ص 78.

3. شكر المنعم

يعيش الإنسان في نِعَم جمّة، تبدأ من تركيبه البيولوجيّ المدهِش، وتستمرّ باستفادته من شتّى الكائنات، طعاماً وشرابًا ولبساً وعطرًا ومركبًا ومشاهدَ غايةً في الروعة والجمال، وغير ذلك.

وفي الإنسان نزعة داخليّة ترجع إلى القوى المتوهِّمة أو الوهم، بحسب الاصطلاح السابق، تدفعه نحو شكر المنعم الذي أحسن إليه من دون أيِّ مقابل. فلو أنّ أحدًا وجد طفلاً يتيم الأبوين، فأخذه وربّاه، وهيّأ له كلَّ وسائل الحياة السّعيدة، فأدخله أحسن المدارس، وأطعمه أطيب الأطعمة، وألبسه أجمل الثياب، إلى أن تخرّج من الجامعة، فقدّم له مالاً وفيراً يساعده على إكمال طريق حياته بكرامة، ألا نلاحظ أنّ هناك نزعة إنسانيّة تدعو ذلك الإنسان المتبنَّى أن يشكر ذلك المحسِن إليه؟! ولو افترضنا أنّ ذلك المحسِن فعل كلّ ذلك، من دون أن يتعرّف عليه من تبنَّاه، ألا يستدعي ذلك أن يسعى المغمورُ بتلك النِّعم ليتعرّف على المحسن ليشكره؟! وفي وسط نِعم هذه الدّنيا أليس حريّاً بالإنسان أن يبحث: هل هناك من مُنعِمٍ أشكره؟!!

الخلاصة

إنّ السؤال المتقدّم: هل يوجد داع لمثل هذه الأسئلة؟ جوابه: نعم، يوجد داعٍ، بل ضرورة لدفع ضرر عظيم يحتمله، إضافةً إلى سعادة أبديّة قد يصل إليها، واحتمال وجود منعمٍ عظيم في نعمته يستحقّ شكرًا.

هل يوجد خالق؟

وصل بي البحث إلى السؤال الآتي: هل أحدٌ خلقني، وخلق هذا الكون؟ تأمّلتُ، وقرأتُ، وتوصّلت إلى أجوبة وأدلّة، أعرض منها:

1. دليل النّظام

أنا، بالتأكيد، لم أخلق نفسي، إذاً إمّا أن أكون وُجِدت صدفة، أو يكون أحدٌ ما قد خلقني. وهذان الاحتمالان ينسحبان على كلّ ما أرى وأشاهد في هذا الكون، فهل وُجد صدفة أو أحد ما قد خلقه؟

هل وُجدنا صدفة؟

قبل الإجابة لا بدّ من تحديد معنى الصدفة، التي تعني عند الكثيرين عدم وجود علّة، فالموجود صدفة، يعني الموجود من دون علّة. إلاّ أنّ هذا الجواب يحتاج إلى تفصيل حتّى لا يُفهم بشكل خاطئ.

ولتوضيح ذلك أستعين بما ذكره العلماء من تعداد أنواع العلّة حينما نظروا إلى المعلول المادّيّ، ولأفترضه كرسيًّا، فقالوا: إنّ هذا الكرسيّ حتى يوجد، لا بدّ أن تسبقه أربعة أنواع من العلل هي:

1. العلّة الماديّة، أي الموادّ الضروريّة لتصنيع الكرسيّ كالخشب والمسامير.
2. العلّة الفاعليّة، أي القوّة التي تقوم بصناعة المعلول كالنجّار في مثال الكرسيّ.
3. العلّة الصّوريّة، أي الصّورة الهندسيّة التي يكون المعلول عليها، كصورة الكرسيّ.
4. العلّة الغائيّة، أي السّبب الدافع للقيام بهذا العمل، كالجلوس على الكرسيّ[1].

بعد هذا العرض أسأل: ما معنى احتمال أن أكونَ قد وُجِدتُ صدفة؟ وأن يكون الكونُ قد وُجد صدفة؟

بالتأكيد، ليس المراد أنّي خُلقتُ، وأنَّ الكون خُلق، من دون علّة ماديّة أو صوريّة، فأنا لديَّ مادة وصورة واضحتان، وكذا الكون. ولا يتوهمنّ أحد أنّ المراد أنّي خُلقت، وكذا الكون، من دون علّة فاعليّة، أي خُلقت من دون سبب، فهذا لا يمكن إنكاره من أحد لديه عقل يدرك، يقينًا، أنّ كلّ مسبَّب لا بدّ له من سبب؛ فمن من العقلاء يعتقد أنّ الأمطار يمكن أن تنزل من السماء من دون علّة، وأنّ الدودة تظهر في الجسم بدون سبب؟ لا أحد منّا سواء كنّا ماديّين أو إلهيِّين ينكر أصل ذلك.

(1) أنظر: سينا، أبو علي، الإشارات والتنبيهات، شرح نصير الدّين الطوسيّ، ط1، قم، نشر البلاغة، 1383 هـ ج3، ص16.

وعليه فمعنى السؤال السابق هو: هل وُجدتُ ووُجد الكون صدفة، أي من دون قوّة حكيمة خلقتني وخلقته؟ أو أنّ هناك قوّة حكيمة قامت بخلقي وخلقه؟ وبالتالي، فلم نوجد صدفة.

الجواب عن هذا السؤال يكمن في التأمّل في الكون والإنسان، لاسيّما في ضوء ما وصل إليه العلم الحديث، فإنّ ذلك التأمّل يؤدّي إلى ما يطلق عليه بـ : دليل النظام.

وخلاصة هذا الدليل هو أنّ التأمّل بهذا الكون يؤدّي إلى نتيجة قطعيّة، وهي أنّ الكون يخضع بأسره لنظام مترابطٍ في أجزائه التي تتحرّك بشكل مضبوط ومتوازن، بما يحقّق هدفًا معيّنًا مترتّبًا على تلك الأجزاء بحيث يستحيل عقلاً أن تتحقّق من دون قوّة عالمة عاملة قاصدة حكيمة.

ما هو موقف العاقل لو وَجَدَ في الصّحراء ساعة يَحكمها نظامٌ يسيرُ فيها عقرب الثواني الذي يحرّك بعد كلّ 60 حركة عقرب الدقائق الذي يحرّك بعد كلّ 60 حركة عقرب الساعات؟ هل يحتمل أنّ هذه الساعة وُجدت وحدها من دون قوّة عاقلة قاصدة حكيمة صنعتها، أو يقطع بوجود تلك القوّة العاقلة القاصدة الحكيمة؟

فكيف بهذا الكون بما فيه، وفيه الإنسان!!

ما هو موقف العاقل لو قرأ على ورقة:

فِي حرْجِنَا المــدرُوزِ شُوحَاً سَــقْـفُ مَـنْـزِلِـنَـا اخْتَفَى
حَرَسَتْهُ خَمْسُ صَنَوْبَرَاتٍ فَـــــانْزَوَى وَتَـصَـوَّفَا

هل يُحتمل أنّ إنسانًا أميًّا لا يعرف من الكتابة شيئًا حمل قلمًا وخطّ على الورقة خطوطًا عشوائيّة، فحدث هذان البيتان من الشعر، أو يقطع أنّ هناك شاعرًا قاصدًا، ذا بيانٍ رفيع، ومضمونٍ رائع[1]، وأنّ هناك عالماً بالكتابة قد خطّهما على تلك الورقة؟!!

لعلّك تقول: إنّ اليقين في مثل هذه الأمور ليس يقينًا ينفي أيّ احتمالٍ مخالف. لكن في مقابل ذلك يُقال: أليس احتمال الخلاف بحسب قانون الاحتمال الرياضيّ ضعيفاً جداً لدرجةٍ لا يحسب له العقل السليم أيّ حساب، بل يكون، عقليّاً، بحكم الملغى؟

لتوضيح ذلك أعرض ما ذكره «**كريس موريسون**» في كتابه «**سرّ خلق الإنسان**» : «**خذ عشر قطع من النقد، وعلّم هذه القطع من واحد إلى عشرة، وكلّما استخرجت منها واحدة أرجعها إلى الجعبة قبل أن تسحب الثانية، عندئذٍ يكون احتمال خروج القطعة رقم (1) معادلاً لـ 10/1، واحتمال أن تستخرج القطعة رقم (1) ثمّ رقم (2) على الترتيب معادلاً لـ 100/1، واحتمال أن تستخرج القطعة رقم (1) ثمّ (2) ثمّ (3) على الترتيب معادلاً لـ 1000/1، واحتمال أن**

(1) صاحب القصيدة هو الشاعر نزار قبّاني.

تستخرج القطعةرقم (1) ثمّ (2) ثمّ (3) ثمّ (4) على الترتيب معادلاً لـ 10000/1، وعلى هذا المنوال يكون احتمال خروج القطع العشر على الترتيب مساويًا لـ (1) من عشرة مليارات»[1].

نماذج من النّظام الكونيّ

بما أنّ دليل النّظام قاعدته التأمُّل، أعرض نماذج كونيّة للتأمّل:

أ. حركة الكواكب

. تدور الأرض حول نفسها كل 24 ساعة يتولّد منها الليل والنهار.

. تدور الأرض حول الشمس في كلّ سنة دورة واحدة تتولّد منها الفصول الأربعة.

. تتحرّك الشمس وتوابعها ومنها الأرض، تبعًا لحركة مجرّة التبّانة التي تدور حول نفسها بحيث تكون كلّ الكواكب متباعدة عن بعضها البعض بدون حدوث أيّ اصطدام أو انحراف، وذلك منذ آلاف السنين.

. تتحرّك المجرّات فيتداخل بعضها في بعض، فتدخل مجرّة تشتمل على ملايين من الكواكب السيارة المتحرّكة في مجرّة أخرى تشتمل على ملايين الكواكب السيارة، ثمّ تخرج المجرّة بملايينها من المجرّة

---

(1) موريسون، كريسي، سرّ خلق الإنسان، ترجمة محمد سعيدي إلى الفارسية، ص 9، نقلاً عن: مطهري، مرتضى، دراسات عقائدية، ط1، ترجمة وتحرير جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، 2015م، ج1، ص 260.

الأخرى بملايينها دون أن يحدث أي تصادم بين كواكب المجرّة الأولى بكواكب المجرّة الأخرى.[1]

هل يصحّ بالعقل أن نحكم على هذا النظام الدقيق المتناسق أنّه وجد صدفة أو أنّه يحصل من نفس هذه المادة الصمّاء العمياء، أو أنّ ذلك يدلّ على أنّ وراء هذا النظام قوّة عاملة حكيمة هي التي تحرِّكه؟!!

ب. ترابط الكون لأجل الحياة

إنّ الحياة الموجودة على هذه الأرض ما كانت إلاّ بسبب ترابط دقيق بين أجزاء الكون يظهر من الأمور الآتية:

1. يتشكّل الغلاف الجوّي (Atmosphere) المحيط بالأرض من عدّة طبقات هي: الغلاف المضطرب (troposphere)، وهو من 0 إلى 12 كم، والغلاف المتطبّق(stratosphere)، وهو من 16 إلى 50 كم، والغلاف المتوسّط (mesosphere)، وهو من 50 إلى 80 كم، والغلاف الحراريّ (thermosphere)، وهو من 80 إلى 640 كم[2].
وفي الغلاف المتطبّق (Stratosphere) تقع طبقة الأوزون التي تشكِّل درعاً واقياً للأرض من الأشعة فوق البنفسجية (UV).
والأشعة فوق البنفسجية يُمكِن أن تتسبَّب في إصابة البشر بأمراض

---

(1) خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدّى، تحقيق عبد الصبور شاهين، ط1، بيروت، ترجمة ظفر الإسلام خان، (لا،ت)، ث 58.

(2) https://nasainarabic.net/r/a/2791

مثل السرطان، وفي تلف العينين عند الحيوانات، وأن تضُرَّ أيضاً بالنباتات، بما في ذلك العوالق النباتية (phytoplankton)، والتي تُمثِّل أحد المصادر الرئيسة للغذاء في البحر[1].

2. تبعد الأرض عن الشمس مسافة حوالي 150مليون كيلومتر (93 مليون ميل)، بما يؤمِّن الحرارة التي تصل من الشمس إلى الأرض بمقدار يلائم الحياة، فلو زادت المسافة بين الأرض والشمس بمقدارٍ لنقصت الحرارة، وتجمّدت الأرض، ولو نقصت المسافة بينهما بمقدارٍ، لتضاعفت الحرارة وامتنعت الحياة[2].

3. لو كانت الأرض أصغر من حجمها الحاليّ، لضعفت الجاذبية، وأخلت الهواء من جوِّها، وتبخّر الماء، وانعدمت الحياة.

ولو كانت أكبر من حجمها الحاليّ لازدادت قوّة الجاذبيّة، وأصبحت الحركة على متنها عسيرة، بحيث يصبح الجسم حملاً ثقيلاً يتعذّر رفعه ونقله.[3]

ج. الترابط بين الحيوان والنبات لأجل الحياة

تحتاج الحيوانات في حياتها إلى الأوكسجين، وتحتاج النباتات في حياتها إلى الكاربون، والعلم يثبت أنّ الحيوانات تستنشق الأوكسجين وتلفظ أوكسيد الكاربون، بينما تحلّل النباتات تحت حرارة الشمس

---

(1) http://ksag.com/index.php/Articles/SingleArticle/artID/1490#pageContent

(2) للمزيد حول هذا الموضوع:
http://www.syr-res.com/article/4331.html

(3) خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدّى، ص 62.

أوكسيد الكربون إلى كاربون وأوكسجين، فتلفظ الأوكسجين، ويبقى الكاربون، فلو توقّف هذا النشاط عند الحيوانات والنباتات، لاستهلكت الحيونات كلّ الأوكسجين واستهلكت النباتات كلّ الكاربون، ممّا يؤدّي إلى زوال الصنفين، وبالتالي تنعدم الحيوانات والنباتات التي هي أساسيّة لحياة الإنسان[1].

هل حصلت هذه العلاقة بين الحيوانات والنباتات صدفة أو أنّ هناك قوّة حكيمة أتقنت ذلك الصنع الباهر؟!!

د. التناسب في جسم الحيوان والإنسان لأجل الحياة

من الواضح تلك الدقّة والضبط والاتقان الموجود في جسم الحيوان والإنسان لأجل استمرار الحياة فيه. يكفي أن نتأمّل في جسم الحيوان الذي فيه رحم ينمو فيها الجنين؛ إذ في كلّ جسم كذلك ثدي إلى جانب الرحم، بحيث يترشّح من حلمة الثدي لبنٌ يتناسب مع احتياجات الطفل الخاصّة، ألا يدلّ ذلك على وجود قوّة واعية حكيمة أرادت بذلك استمرار الحياة؟!!

إضافةً إلى ما تقدَّم من ما سُمّي بـ «**دليل النّظام**»، فإنّ هناك دليلاً آخر، يتضمّن ما فيه ويزيد، وهو ما يُطلق عليه «**دليل الهداية**».

2. دليل الهداية

صنع الإنسان الروبوت الآليّ وطوَّره تطويراً مدهشًا، فلا تتعجّب

(1) نقلاً عن: مطهري، مرتضى، دراسات عقائدية، ج1، ص 263.

إن دخلت مطعمًا واستقبلك الروبوت مرحِّبًا بك، ومرشِدًا لك إلى الطاولة، وعارضًا لك لائحة الطعام والشراب، الخ... إنّه صنع عجيب يدلّ على المرتبة العلميّة العالية التي وصل إليها مبتكر هذه الآلة المميّزة.

إنّ ما يقوم به الروبوت مرتبط بالبرمجة التي وضعها فيه مبتكره، فهو قد برمجه بحيث يصل إليه الاهتزاز الصوتيّ الدالّ على دخول أحد ما إلى المطعم، وحينما يحصل هذا تصدر عنه كلمة: «**مرحبًا**»، وأيضًا قد برمجه على أن يرافق الزبون إلى إحدى الطاولات، كذلك أن يقدِّم له بعد ذلك لائحة تتضمّن مأكولات المطعم، وهذا كلّه مرتبط بالبرمجة التي قامت بها العلّة الفاعليّة، بحسب المصطلح المتقدِّم.

لكن لا تنتظر من الرّوبوت أن يبتكر أو يبتدع أمرًا خارج إطار البرمجة التي وضعها فيه مبتكرها، فإذا لم يبرمجه المخترع على أن تكون له ردّة فعل إذا نشبت النيران في المطعم، فإنّه سيبقى فيه ويحترق.

إنّ مثال الروبوت يتلاءم مع دليل النظام المتقدّم، والذي كان يتمحور حول تكوين الموجودات من حيث شكلها، وتركيبها، وإتقان صنعها، وارتباط أجزائها بعضها ببعض، بشكل مضبوط ومتوازن للوصول إلى هدف محدّد حيث يُستدلّ بذلك على وجود فاعل عالم قاصد حكيم قد خلقها.

وهنا أريد أن أضيف إلى دليل النظام هذا دليلاً يتعلّق بالمستقبل والغاية التي تسير نحوها تلك الكائنات، بما لا يمكن تفسيره إلاّ بوجود قوّة غيبيّة حكيمة تهدي هذه الكائنات في ابتكارها، وإبداعها في سيرها المستقبليّ لتحقيق غايتها المنشودة.

نماذج من هدايات الكائنات الحيّة

1. النملة ونمط العيش

من خصائص هذه الحشرة الصغيرة جدًّا أنّها:

. تصنع المساكن والأعشاش لتضع البيض فيها.
. تجمع الحبّ، وتحافظ عليه من الفساد بتفتيته حتى لا ينبت في الرطوبة، وتقوم بنشره وتجفيفه.
. تتحسّب للمستقبل، فتقوم بأعمال الشتاء في فصل الصيف.
. تجعل لبيوتها منافذ تسدُّها في البرد، وتفتحها في الحرّ.
. لديها أسلوب خاصّ في الدفاع عن نفسها، إذ تستخدم أسلوب الانسحاب التكتيكي، ثمّ تُهاجم العدو وتقضي عليه.

وإلى بعض خصائص النملة يُشير عليّ بن أبي طالب بقوله:

«انظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنالُ بلحظ البصر، ولا بمستدرَك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصُبَّت على رزقها، تنقل الحبّة إلى جُحرها، وتُعدُّها في مستقرِّها، تجمع في حرّها لبردها، وفي وُرُودها لصَدَرِها، مكفولةٌ برزقها، مرزوقة

بِوِفقها[1]، لا يُغفلها المنّانُ، ولا يَحرِمها الديّان، ولو في الصّفا اليابس والحَجَر الجامس[2]. ولو فكرت في مجاري أَكْلها، في عُلْوِها وسُفْلِها، وما في الجوف من شراسيف بطنها[3]، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خَلقِها عجبًا، وَلَقيْتَ من وصفها تعبًا. فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يُعنه في خلقها قادر»[4].

2. سمكة السلمون

تفقس أسماك السلمون (salmon) في مجرى مياه عذبة كالشَّلالات، ثمّ تسبح إلى مياه المحيط المالحة، لتقضي معظم وقتها فيه، لكن حينما تريد أن تبيض، فإنّها ترجع إلى ذلك المجرى العذب، كالشلّال، لتبيض فيه، وبعد أن تبيض، تسبح مرة أخرى إلى مياه المحيط المالحة، فإذا أرادت أن تبيض، فإنّها ترجع مرّةً أخرى إلى مكان ولادتها لتبيض فيه، واللافت أن السَّلمون حينما ترجع إلى الشَّلال الذي وُلدت فيه، فإنّها تسبح إلى أعلى النهر متحدّية التيارات المندفعة لتصل إلى حيث تضع بيضها.

---

(1) الصدر: محرَّكًا، الرجوع، بعد الورود، وقوله عليه السلام: بِوِفقها بكسر الواو أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

(2) الجامس: الجامد.

(3) الشراسيف: مقاطع الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(4) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق محمد عبده، ط1، قم، دار الذخائر، 1412هـ ج2، ص 117.

والمدهش في هذه السمكة أنّها إذا نُقلت إلى نهر آخر غير الذي وُلدت فيه، فإنّها تشقّ طريقها في النهر، وتقاوم التّيارات قاصدةً نهر ولادتها[1].

فمن الذي هدى هذه السمكة إلى ما تقوم به؟!! هل يمكن حصول هذا الأمر من دون قوَّة حكيمة تقوم بهدايتها؟!

3. حشرة الآموفيلا

هناك حشرة تدعى باللَّاتينيَّة «**آموفيلا**»، تقوم بعد التزاوج باصطياد حشرة أرضيّة بلسعها بحيث تشلّها ولا تميتها، وبالتالي لا تفسد أليافها، ثمّ تحفر حجرًا، وتُدخل الحشرة المشلولة في ذلك الحجر، وتضع بيضها على تلك الحشرة المشلولة، ثمّ تقوم «**آموفيلا**» بإغلاق الحجر على الحشرة، ويفقس البيض عموماً خلال يومين، لتجد الحشرات الجديدة ما تتغذّى عليه جاهزاً في ذلك الحجر.

المدهش والعجيب هو أنّ هذه الحشرات الفراخ لم تشاهد ما فعلت أمّها، لكنّها حينما تبيض تكرِّر العمل نفسه، وبالدّقّة ذاتها، ودون خطأ أو اشتباه، على غرار ما كانت تقوم به أمّها حينما تبيض[2].

أيعقل أن يتمّ هذا الأمر بدون قوّة غيبيّة حكيمة هادية؟!!

(1) «A Salmons life: An Incredible Journey». U.S. Bureau of land Management. Archived from the original on 25 February 2009.

(2) Brockmann, J.1985. tool use in digger wasps (Hpmenoptera: Sphecinae).A Journal of Entomology,92: 309 -330.

(في هذا المرجع كُتب أن آموفيلا تأتي بحشرة مشلولة، وفي مرجع آخر (الموجود في الهامش الآتي) أنَّ آموفيلا تشلّ الحشرة كما ذكرت سابقاً)

من الواضح أنَّ ما تقوم به هذه الحشرة، وكذلك ثعابين الماء لم يكن ناشئاً من التربية والتعليم، إذاً من أين نشأ؟!!!

الإلهام لدى الإنسان

قد يصل الإنسان إلى المعلومة من خلال التجربة والاختبار، وقد يصل إليها من خلال التفكير والاستدلال والبرهان، لكن هناك طريق ثالث قد يوصل الإنسان إلى معلومة جدَّيَّة هي نوع من الإلقاء في الرَّوع حيث تنقدح في ذهنه فكرةٌ ما بشكل مفاجئ، وقد يكون ذلك بعد عجزه عن حلِّها بالطرق المعروفة.

وهذا ما يصرِّح به الكثير من كبار العلماء المكتشفين والمخترعين في العالم:

- يقول أينشتاين: «إنّ النظريّات المهمّة الكبرى في العالم هي التي تنقدح على نحو الإلهام فجأة وفي حالة معيَّنة في أذهان العلماء»[1].

- يقول ألكسيس كارل: «لا ريب أنّ الاكتشافات العلميّة ليست ثمرة الفكر البشريّ وحده؛ فإنّ العباقرة يتميَّزون بخصائص أخرى مثل الإشراق والتصوّر الإبداعيّ الخلاَّق، إضافةً إلى الدراسة وفهم القضايا، فالإشراق يوصل الإنسان إلى معرفة الحقائق الخفيّة على الآخرين...»[2].

---

(1) نقلاً عن : مطهري، مرتضى، دراسات عقائديّة، ج1، ص 317.

(2) المرجع السابق نفسه.

- يقول العالم الرياضيّ الفرنسيّ (جاك هادامار): «من المحال أن نتمكن من تجاهل دور الإدراكات الذاتيّة التي تنقدح في الأذهان عندما نريد معرفة العوامل المنتجة للاكتشافات والاختراعات العلميّة. وقد شعر كلُّ عالم محقّق بأنّ حياته العلميّة تشتمل على مجموعة من نشاطات متناوبة، بعضها ثمرة للإرادة والشّعور والفهم، وبعضها الآخر وليد مجموعة من الإلهامات الباطنيّة»[1].

. يقول بوان كواه: «حدث لي مراراً أنّني كنت أعرض عن متابعة دراسات وبحوث علميَّة بعد استمراري فيها مدَّة طويلة دون الوصول إلى النتيجة، ثم تنقدح في ذهني فجأة، أثناء الاستراحة أو التجوّل، ودون مقدمّات، فكرةٌ تتميّز بقوتها الفكريّة، فيسكن لها فكري، وأجد فيها طريق الحلّ المطلوب للمعضلة العلميّة التي تركتها بعد اليأس من حلّها»[2].

. يقول جاك هادامار: «حدث لي أنا أيضاً أنّني كنت أبحث مدة طويلة بشأن موضوع معيّن دون أن أتوصَّل إلى النتيجة المطلوبة، ثمّ ينقدح في ذهني فجأة، وفي لحظة انتباه أثناء إدارة عجلات السيارة تصوُّر دقيق للحلّ، وأحصل على النتيجة. والعجيب أنّ الحلّ الذي كان ينقدح في ذهني يختلف بالكامل في مسيره عن المسار الذي كنت أتابعه في البحث»[3].

(1) المرجع السابق، ص 317-318.
(2) المرجع السابق، ص 318.
(3) المرجع السابق نفسه.

إنّ ما تقدّم يوضِّح الفرق بين دليل النظام ودليل الهداية حيث يتميّز الأخير بنوع من الابتكار والإبداع المتعلِّق بالمستقبل والغاية، حيث لا يتوقّف دليل النظام على مثل هذا النوع.

دليل الهداية ونموذج منه في القرآن

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2].

﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[3].

إلى هنا ثبت أنّ هناك قوّةً غيبيّة خالقة عالمة قاصدة قادرة حكيمة تواكب خَلْقَها بالهداية.

كما أنّ دليل الهداية فتح الباب أمام أداة معرفيّة جديدة هي نوع من الإلهام.

3. دليل الإمكان

شرح المصطلحات

قبل بيان هذا الدّليل ينبغي معرفة ثلاثة مصطلحات هي: ممكن الوجود، واجب الوجود، ممتنع الوجود. والبدء بالأخير.

(1) سورة طه، الآية 50.

(2) سورة الأعلى، الآيتان 2-3.

(3) سورة النحل، الآية 68.

تأمّل(!)

قال دارون: «**من الصعب جداً، بل من المستحيل، أن نتصوّر أنّ كوناً هائلاً ككوننا، وبه مخلوق يتمتّع بقدراتنا الإنسانيّة الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء، أو لأنّ الحاجة أمُّ الاختراع، وعندما أبحث حولي عن السبب الأوّل وراء هذا الوجود أجدني مدفوعاً إلى القول بعقل ذكيّ، ومن ثمّ فإنّي أستحقّ أن أُصنَّف كمؤمنٍ بالإله**».

Darwin-online.org.uk/content/frame set? Pageseq=118&itemID=CUL-DAR26>1121&viewtype=side

1. معنى ممتنع الوجود

إنّ للذهن البشريّ، عبر قوّة الخيال، قدرةً على تخيُّل صورٍ ليس لها واقع في العالم الخارجيّ، فأنا أستطيع أن أتخيّل صورة جبل ضخم من الماس، وأن أتخيّل بحرًا كبيرًا من حليب، مع أنّه لا وجود لهذا الجبل وذلك البحر في واقعنا المشاهَد، لكن السؤال: هل من الممكن أن يكون هناك جبل ضخم من الماس؟ وهل من الممكن أن يوجد بحر من حليب؟ الجواب: نعم، هذا ممكن، وليس ممتنعًا أي ليس مستحيلاً، ولكنّه، بحسب مشاهداتنا غير واقع.

وبناءً على ما تقدّم، يمكن للإنسان أن يتخيّل إنسانًا وُجد فجأة من لا شيء، ومن دون أن يكون هناك أيّ سبب أو علّة لإيجاده، وبعبارة أخرى يمكن أن يتخيّل معلولاً وُجِد من دون سبب وعلّة؟

كما يمكن له أن يقارب صورة شيء واحد هو أسود وأبيض في الجهة عينها في المكان نفسه، في الزمان ذاته، أي يمكن له أن يتخيّل اجتماع الضّدَّين.

لكن السؤال هل وجود المعلول من دون علّة، في الواقع لا في الخيال، ممكنٌ عقلاً؟ هل اجتماع الضدَّين في الواقع، لا في الخيال ممكن عقلاً؟

الجواب: كلا، إنّه غير ممكن، بل مستحيل وممتنع.

من هنا يقال: وجود معلول بلا علّة ممتنع الوجود، واجتماع الضِّدَّين ممتنع الوجود. فممتنع الوجود هو الذي يستحيل أن يوجد في الواقع.

2. معنى ممكن الوجود

إنّ ممكن الوجود هو الذي يمكن أن يوجد، ويمكن أن لا يوجد، فمثلاً إذا كنتَ أعزب لم تتزوّج وبالتالي لم تُنجب، أسألك:

هل يمكن أن يُصبح لديك ولدٌ في المستقبل؟ هل هذا ممتنع الوجود؟ الجواب: كلا، فولدك يمكن أن يوجد في المستقبل ويمكن أن لا يوجد، هذا ما يُصطلح عليه بـ: «**ممكن الوجود**». فممكن الوجود قبل وجوده تتساوى نسبته إلى الوجود والعدم. هو قبل وجوده كالنقطة في وسط الدائرة، فهي متساوية النسبة إلى جميع الأطراف، وهو متساوي النسبة إلى الوجود والعدم.

و حتى يخرج ممكن الوجود من نسبة التساوي إلى الوجود والعدم، لا بدّ له من سبب وعلّة من الخارج؛ لتخرجه من هذه النسبة المتساوية، إلى عالم الوجود الخارجيّ، فإذا لم تأتِ هذه العلة، فإنّه يبقى متساوي النسبة، وبالتالي يبقى معدومًا.

وهذا الأمر مسلّم به عند جميع العقلاء حتى المادّيّين؛ لأنّه يرجع إلى قاعدة السببيّة القائلة بأنّ كلّ مسبَّب لا بدّ له من سبب، وكلّ معلول لا بدّ له من علّة.

3. معنى واجب الوجود

يمكن للذهن البشريّ أن يتصوَّر موجودًا لا يحتاج في وجوده إلى علّة توجده، بل يكون موجودًا بنفسه بدون حاجة إلى أحد، بحيث يكون وجوده ضروريًا، لا يمكن انفكاكه عنه. وهو ما يُطلَق عليه «**واجب الوجود**».

الخلاصة

المصطلح	المعنى	المثال
ممتنع الوجود	يستحيل وجوده	المعلول بدون علّة
ممكن الوجود	تستوي نسبته إلى الوجود والعدم	الإنسان
واجب الوجود	وجوده ضروريّ لا يحتاج إلى علّة	؟

تصوير دليل الإمكان

ينطلق هذا الدليل من أوضح شيء ليجعله نقطة الصفر في تكوين العقيدة. ما هو الأوضح؟ أليس الوجود؟ هل أحد يشكّ في أصل الوجود؟!!

انطلاقًا من الوجود نتأمّل في موجودات العالم المشاهَد، كالأرض وسائر الكواكب والنّبات والحيوان والإنسان وغير ذلك. إنّ هذه الموجودات لا يخلو حالها من أمرين: إمّا أن تكون ممكنة الوجود أو واجبة الوجود، ولا يوجد احتمال ثالث، فهي، بالتأكيد، غير ممتنعة الوجود، وإلاّ فلو كانت ممتنعة لاستحال أن توجد،مع أنّها موجودة،إذاً، السؤال يدور بين أمرين: هل هي ممكنة أو واجبة؟

والجواب يأتي من خلال ملاحظة أنّ جميع ما نشاهده قبل أن يوجد كان متساوي النّسبة إلى الوجود والعدم، فأنا لم أكن موجوداً، وفي زمان سابق، كان يمكن أن أوجد، ويمكن أن لا أوجد، وشجرة الزيتون في أرضي لم تكن في الماضي، وكان يمكن أن توجد، ويمكن أن لا توجد، وكذا تلك الدّجاجة، وذلك النهر والبحر والجبل وغيرها. إذًا كلّ ما نشاهده في هذا الكون هو ممكن الوجود.

وهنا يأتي السؤال: هل يمكن أن تكون كلّ الموجودات ممكنة الوجود، وبالتالي لا يوجد واجب الوجود؟

الجواب: إنّ كون كلّ الموجودات ممكنة الوجود مستحيل عقلاً.

وذلك لأنّه من المستحيل أن يكون الممكن من دون علّة كما تقدّم، وعليه أسأل ما هي علّة وجوده؟

إنْ أجبتَ: علّة وجوده (رقم 1)

أسأل: (رقم 1) ممكن الوجود أو واجب الوجود؟

إنْ أجبتَ: هو ممكن الوجود.

أسأل: بما أنّه ممكن، فلا بدّ له من علّة، فما هي علّته؟

إنْ أجبتَ: هي (رقم 2)،

أسأل: بما أنّه ممكن، فلا بدّ له من علّة، فما هي علّته؟

إنْ أجبتَ: هي (رقم 3)،

أسأل: بما أنّه ممكن، فلا بدّ له من علّة، فما هي علّته؟

وهكذا كلّما أتيت لي بجواب أسأل: هل هو ممكنٌ أو واجب؟ فإن أجبتَ: هو ممكن يتكرّر السؤال.

وهنا لا يمكن أن ترجع في العلّة إلى الوراء بأن تقول: علّة (رقم 1) هي (رقم 2) وعلّة (رقم 2) هي (رقم1)؛ لأنّ (رقم2) هو علّة (رقم 1)، فبدون (رقم 2) لا يتحقّق (رقم1)، وعليه فمستحيل أن يكون (رقم1) علّة (رقم2)، وهذا ما يسمّى في المنطق بالدَّور.

وإذا لم يمكنك الرجوع فيستمرّ السؤال، كذا الجواب....فإن سألتك ما هي: علّة (رقم 1000)؟ فإن أجبت هي (رقم 1001)

فسأقول لك (رقم 1001) ممكن أو واجب؟

فإن أجبتَ: هو ممكن.

أسأل: بما أنّه ممكن يحتاج إلى علّة، فما هي علّته؟

وهكذا تبقى في تَسَلسُلِك وأبقى في سؤالي، وبقاء هذا التسلسل بدون الوقوف عند علّة تكون غير ممكنة، بل واجبة أمرٌ مستحيل عقلاً.

وقبل توضيح الاستحالة أعطي مثلاً فرضيًّا على ما مرَّ ليس بلغة الأرقام، وهو مثال لتقريب الدّليل إلى الأذهان[1]: لنأخذ الدّيك فهو لم يكن موجودًا ثمّ وُجد؟ وهو قبل أن يوجد كان من الممكن وجوده، ومن الممكن أن يبقى في دائرة العدم، أي كان متساوي النّسبة بين الوجود والعدم.

وهنا أسأل: من أوجده، وأخرجه من الدائرة التي كان يتساوى فيها بين الوجود والعدم؟

قد يذهب المجيب إلى أصل الديك، ويقول: إنّه كان بيضة.

وهنا أسأله: من أوجدها، وأخرجها من الدائرة التي كانت تتساوى فيها بين الوجود والعدم؟

---

(1) في هذا المثال، سنستخدم للتوضيح العلة المادية بدل العلة الفاعلية.

وقد يذهب المجيب إلى أصل البيضة، ويقول: إنّها كانت نطفة.

وهنا أسأله: من أوجد النطفة، وأخرجها من تلك الدائرة؟

وقد يذهب المجيب إلى أصل النطفة، ويقول :إنّها كانت نبتة.

وهنا أسأله: من أوجد النبتة؟

وقد يذهب المجيب إلى أصل النبتة، ويقول: إنّها كانت بذرة.

وهنا أسأله: من أوجد البذرة؟

وقد يذهب المجيب إلى أصل البذرة، ويقول: إنّها كانت تربة.

وهنا أسأله: من أوجد التربة؟

وقد يذهب المجيب إلى أصل التربة، ويقول: إنّها كانت ذرّة.

وهنا أسأله: من أوجد الذرّة؟

وقد يذهب المجيب إلى أصل الذرّة، من العناصر الثلاثة (Protons, Neutrons, Electrons).

وهنا أيضًا أسأله: من أوجد تلك العناصر؟

وهكذا يبقى السؤال، لكن لا يمكن أن يبقى المجيب ينقلنا إلى الحالة السابقة، بل لا بدّ أن نقف على أصلٍ ليس له أصل، فنسأل من أوجده؟ والجواب عن من أوجده لا يمكن أن يتسلسل.

فإذا كان الجواب: إنّ الذي أوجده هو (ب) مثلاً؛

فأنا أسأله: من أوجد (ب)؟

فإذا قال: (ج)، فأنا أسأله: من أوجد (ج)؟

فإذا قال: (د)، فأنا أسأله: من أوجد (د)؟

فإذا قال: (هـ)، فأنا أسأله: من أوجد (هـ)؟

وخلفيّة سؤالي هي أنّ (ب)، (ج) و (هـ) وغيرها لم تكن موجودة، وكانت متساوية النّسبة بين الوجود والعدم، ولا بدّ لها من مُخرج وموجد، فمن هو الذي أخرجها وأوجدها؟

ولا يمكن أن تستمرّ الإجابة بـ (و) ثمّ (ز) ثمّ (ح) ثمّ (ط) وهكذا؛ لأنّ هذا يؤدّي إلى التسلسل المستحيل.

استحالة التسلسل

يبقى السؤال لماذا التسلسل مستحيل عقلاً؟

أُقرِّب الاستحالة بالمثال الآتي: لو أنّ صفًا من الرّياضيّين يستعدّ للانطلاق في مسابقة الركض، إلاّ أنّ الرياضيّ رقم (1) لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك الرياضيّ رقم (2)، والرياضيّ رقم (2) لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك الرياضيّ رقم (3)، والرياضيّ رقم (3) لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك الرياضيّ رقم (4)، وهكذا رقم (4) لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك رقم (5).... ورقم (1000) لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك رقم (1001)... ورقم مليون لا يمكن أن يتحرّك إلاّ إذا تحرّك

رقم مليون وواحد... فإذا استمرّ تعليق حركة كلّ رياضيّ على آخر، فهل يتحرّك رقم (1)؟ قطعًا كلّا. فإذا تحرّك رقم (1) نعلم، يقيناً، أنّ السّلسلة توقَّفت عند من لا تتوقّف حركته على حركة آخر.

إذًا التسلسل لا يمكن أن يؤدّي إلى أيّ وجود. فإذا تحقّق وجود ما، فإنّ ذلك يعني أنّ السّلسلة قد توقّفت عند وجود غير معلّق على وجود آخر، وعليه، فإنْ كان كلُّ ممكنٍ يتوقّف وجوده على ممكنٍ آخر، ويستمرّ هذا التوقّف، فالنتيجة هي أنّه لا يمكن أن يوجد الممكن الذي نسأل عنه، مع أنّه موجود بالفعل. وعليه، فبما أنّه موجود، واقعاً، فلا بدّ أن تكون السّلسلة قد توقّفت عند موجود لا يتوقَّف وجوده على وجود آخر، وهو ما يُصطلح عليه بـ : «**واجب الوجود**»، وهو الوجود الذي وجوده ذاتيّ له، لا ينفكّ عنه، وبالتالي لا يحتاج إلى أيّ شيء ليحقّق وجوده.

إلى هنا ثبت أنّه يوجد واجب وجود، أي موجود لا يحتاج إلى أيّ شيء في وجوده. هو الذي أوجد الممكنات، وهو العلّة الأولى لها، وبهذا ثبت وجود خالق.

المرفأ الثاني

- من هو الخالق؟
- لماذا خلقني؟

هل الخالق ربٌّ كامل؟

لا يتوقّف دليل الإمكان السابق على إثبات وجود العلّة الأولى، أي الخالق بعنوان واجب الوجود، بل يُكمل طريقه لإثبات صفات هذا الخالق التي منها أنَّه:

1. غنيّ

إنّ واجب الوجود، كما تقدَّم، هو الذي يكون وجوده ضروريّاً له، فهو لا يحتاج إلى وجود، أي لا يحتاج إلى شيء، وبالتّالي فهو غنيٌّ.

وبما أنّه غنيّ، فهو غير مركَّب؛ لأنَّ المركَّب يحتاج إلى أجزائه.

وبما أنّه غير مركّب، فهو لا جسم له؛ لأنّ الجسم مركّب.

وبما أنّه لا جسم له، فهو لا مكان له، ولا زمان له؛ لأنّ الجسم هو الذي يحتاج إلى المكان والزمان.

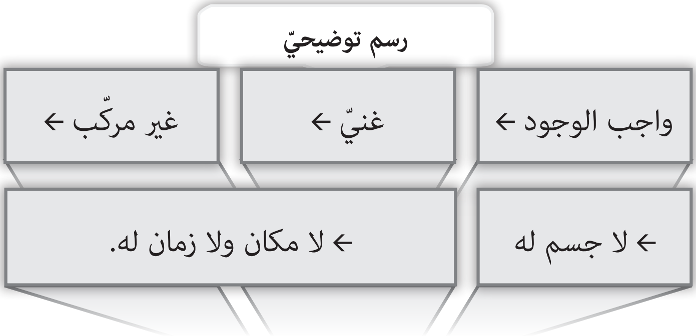

2. ربٌّ

تقدّم أنَّ العقل يدلُّ على أنَّ واجب الوجود هو العلّة الأولى للممكنات، فهو الذي خلقها وأوجدها من العدم. وهنا، أريد أن أُضيف دلالة عقليَّة جديدة، وهي أنّ الممكنات المعلولة لواجب الوجود تحتاج إليه في أصل حدوثها، وفي بقائها واستمرارها.

توضيح ذلك: إنّ علاقة المعلول بالعلّة على نوعين:

النّوع الأوّل: علاقة البناء مع البنَّاء، فالبنّاء يأتي بموادَّ موجودة كالأحجار والأتربة والماء والأخشاب ويبني البناء، فهو يشكّل من الموادّ الموجودة هيئة محدّدة تُسمَّى منزلاً، وهذا المنزل يحتاج في حدوثه (شكلاً) إلى البنّاء، ولكن، هل يحتاج في بقائه إليه؟

الجواب: بالتأكيد، كلا؛ فإنّ البنّاء يموت، ويبقى المنزل.

إذًا، البِناء يحتاج إلى البنّاء في حدوثه، ولا يحتاج إليه في بقائه.

النّوع الثاني: علاقة شعاع الشّمس بالشّمس، فإنّ شعاع الشّمس يحتاج إلى الشّمس في أصل حدوثه، فمن دون الشّمس لا شعاع أصلاً، وأيضًا، بخلاف النوع الأوّل في بقائه، فإن ذهبت الشّمس وزالت، ذهب الشّعاع وزال. وهناك مثال آخر لهذا النوع هو صورتي في المرآة حينما أقف قبالها، فإنّها مرتبطة بي وبوقوفي أمام المرآة في أصل حدوثها، وكذلك فإنّها مرتبطة ببقائي أمام المرآة، فإن ذهبت من أمامها ذهبت الصورة وانتفت عنها.

بعد توضيح هذين النوعين من علاقة المعلول بالعلّة، أسأل:

كيف هي علاقة الممكنات المعلولة بواجب الوجود العلّة، هل هي بنحو النّوع الأوّل أو الثّاني؟

الجواب: إنّها بالنّحو الثّاني، والسّرّ في ذلك هو أنّ الممكن، كما تقدّم، مستوي النّسبة إلى الوجود والعدم، فهو بنفسه غير موجود بل معدوم، وحتّى يخرج من حيّز الاستواء الذي هو عدمٌ، فإنّه يحتاج إلى واجب الوجود. إذًا الممكن بنفسه لا شيء، والذي صنع شيئيّته هو واجب الوجود، لذا فهو في نفسه ليس له أيّة استقلاليّة؛ إذ لم يكن له أيّة سابقة قبل إيجاده من قبل واجب الوجود.

والنتيجة أنَّ الممكنات تحتاج إلى واجب الوجود في أصل حدوثها وفي بقائها واستمرارها وديموميّتها. وهذا يعني أنّ واجب الوجود،

بالإضافة إلى كونه خالقًا لها، هو مواكب لها ومدير لشؤونها، وهو ما يعبَّر عنه بأنّه «**ربّ**».

وعليه فواجب الوجود باعتبار ربوبيّته هو المحيي، المميت، الرازق، الواهب، المنعم،...؛ لأنّ كل هذه الصفات تقع في إطار التدبير والربوبيّة.

3. فيه كمالات الممكنات

من قواعد العقل الثابتة أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فأنا إذا كنت فاقدًا للمال، فإنّه يستحيل عقلاً أن أعطيك المال، وإن كنتُ فاقدًا للعلم، فإنّه يستحيل عقلاً أن أعطيك علمًا.

وعليه، فحينما أجد في الممكنات حياةً وعلمًا وقدرةً وإرادةً و.. إلخ فهذا يعني أنّ واجب الوجود حيّ، عالم، قادر، مريد،...الخ.

الخلاصة في رسم توضيحيّ

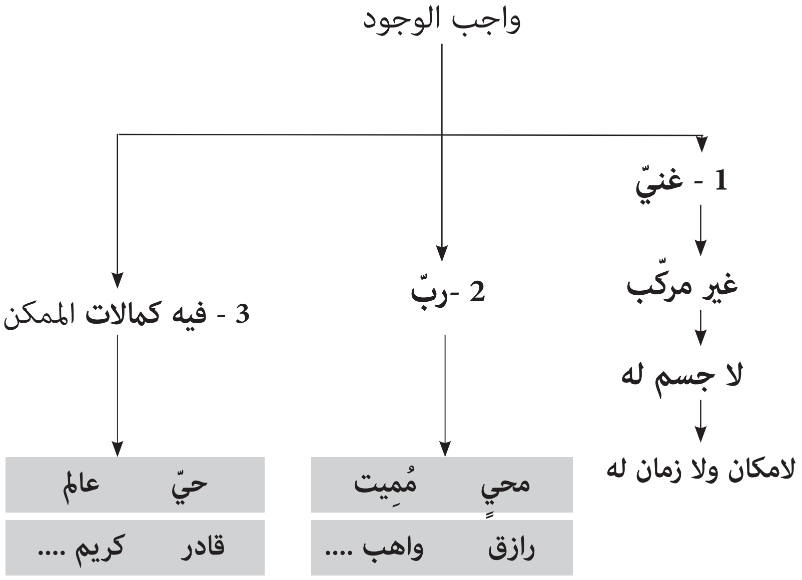

ومن هذه الصفات تتولّد صفات أخرى من قبيل:

4-عادل

والسرُّ في ذلك أنّ الظُّلم ينشأ من أمور هي:

أ- الحاجة، بينما واجب الوجود غنيّ.
ب- الجهل، بينما واجب الوجود عالم.
ج- العجز، بينما واجب الوجود قادر.
د- البخل، بينما واجب الوجود كريم.
....

5-حكيم

ومعناه الذي يضع الأمور في مواضعها المناسبة، والسرّ في كونه حكيمًا هو أنّ عدم وضع الأمور في مواضعها المناسبة يكون إمّا:

أ- لحاجة،	وهو غنيّ
ب- لجهل ،	وهو عالم
ج- لعجز ،	وهو قادر
د- لبخل،	وهو كريم
هـ- لظلم،	وهو عادل
...	

وعليه، فواجب الوجود حكيمٌ هادفٌ في فعله، يضع الأمور في مواضعها المناسبة.

هل الخالق الربّ الكامل واحد؟

ممّا سبق عرفنا صفات عديدة لواجب الوجود فهو خالقٌ، غنيّ، غير مركّب، لا جسم له، لا مكان له، لا زمان له، حيّ، عالم، قادر، مريد، كريم، عادل، حكيم، ربّ، مُحيٍ، مميت، رازق، منعِم...الخ.

وعرفنا أيضًا أنّ واجب الوجود واحد في ذاته بمعنى أنّه غير مركّب؛ لأنّه غنيّ، والمركّب محتاج إلى أجزائه، إذاً هو واحد في ذاته.

يبقى السؤال: هل هو واحد في الخالقيّة، فلا خالق غيره؟

وهل هو واحد في الربوبيّة؛ فلا ربّ سواه؟

الأدلّة على التوحيد في الخالقيّة والربوبيّة

هناك العديد من الأدلّة على توحيد واجب الوجود في الخالقيّة والربوبيّة أعرض منها ما يتناسب مع المستوى المطروح هنا:

الدّليل الأوّل: ترابط النظام وتناسقه، وتعاون أجزائه للوصول إلى هدف معيَّن كما تقدّم في دليل النظام.[1]

(1) ص 24.

سُئل جعفر الصادق (الإمام السّادس للمسلمين الشيعة):
ما الدليل على أنّ الله واحد؟
فقال: اتصال التدبير، وتمام الصنع...»[1].

الدّليل الثاني: أنّنا لم نلحظ في تاريخ الإنسانيّة من ادّعى أنّه رسول، إلاّ وقد دعا لخالق وربّ واحد، فلو كان هناك إله آخر لوجدنا له رُسُلاً يدعون إليه.

قال عليّ بن أبي طالب: «لو كان لربّك شريك لأتتك رسله»[2].

وقد عبّر عن هذا الدليل صدر الدين الشيرازيّ في كتابه المبدأ والمعاد بقوله: «**...كَونُ جبلّة العالم مع تَفَنّن حركاتها، وتَخالُف أشكالها، وتَغَيُّر آثارها المتولِّدة من الأجسام العالية، في الأجسام السافلة، مؤسَّسة على الايتلاف الطبيعيّ، والرّصف الحكميّ، دالّة بوحدتها الطبيعيّة الاجتماعيّةعلى الوحدة الحقّة الحقيقيّة**»[3].

(1) الصدوق، محمد، التوحيد، تحقيق هاشم الطهرانيّ، (لا.ط)، قم، مؤسّسة النّشر، (لا.ت)، ص250.

(2) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، ج3، ص 44. ولا بدّ هنا من التنبيه إلى أنّ هذا الاستدلال ينسجم مع المنهجيّة المتدرّجة من الإله إلى النبيّ، وذلك لأنّ هذا الدليل لا يثبت التوحيد من نصّ النبيّ؛ ليكون ذلك دورًا (بالمصطلح المنطقي)؛ باعتبار أنّ النبوّة تتوقف على التوحيد، فكيف يتوقّف التوحيد عليها، فالنبوّة في هذا الدليل إنّما هي باعتبارها ظاهرة من ظواهر العالم، فتشكِّل بذلك دليلاً على وحدانيّة الخالق والربّ.

(3) الشيرازي، محمد، المبدأ والمعاد، ط3، قم، دفتر تبليغات اسلامي، 1422هـ ص 163.

الدّليل الثالث: إنّ الاحتمالات الأساسيّة المفروضة حول وجود خالق وربّ واحد أو متعدّد هي أربعة:

الاحتمال (1): أن يكون هناك خالقان (أو أكثر)، كلّ واحد منهما أو منهم خلق الكون ذاته.

وهذا الاحتمال غير صحيح بالدليل الآتي:

إن افترضنا أنّ الإله رقم (1) خلق الكون، فإنّ الإله رقم (2) يستحيل أن يخلق الكون ذاته؛ لأنّ الأوّل، بحسب الفرض، خلقه، وقد وُجد وحصل، وبالتالي فماذا يخلق الثاني؟!، في حين أنَّ الكون مخلوق وحاصل، والقاعدة العقليّة تُفيد أنّ تحصيل الحاصل محال، فلو كنتَ تفتح الكتاب على صفحة 80، فطلبتُ منك أن تفتح الكتاب على صفحة 80، فهل يمكنك ذلك؟ بالتأكيد كلا، فإنّ الكتاب مفتوح على هذه الصفحة، والمفتوح لا يُفتَح؛ لأنّه تحصيل حاصل، وتحصيل الحاصل محال عقلاً.

وهكذا الكون في الاحتمال الأوّل؛ فإنّه حاصل ومتحقّق؛ فيستحيل أن يُحقّقه ويخلقه الإله رقم (2)، وإن لم يخلقه، فهو لا يكون خالقًا، فيبطل الاحتمال الأوّل.

الاحتمال (2): أن يخلق الإله رقم (1) جزءًا من الكون، والإله رقم (2) الجزء الآخر.

وهذا الاحتمال تبطله المنظومة المنسجمة المترابطة المتناسقة المضبوطة والمتوازنة المتعاونة للوصول إلى هدف معيّن، كما تقدّم توضيح ذلك في دليل النظام.

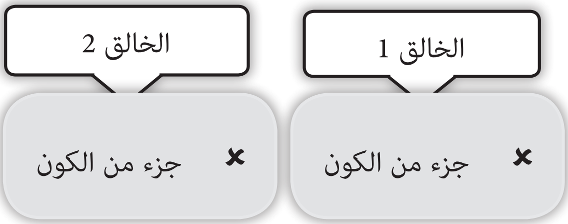

الاحتمال (3): أن يكون هناك خالق واحد، وعدّة أرباب. فهناك أسأل: هل الأرباب مستقلّون في ربوبيّتهم، أم غير مستقلّين؟ فهم، إن كانوا غير مستقلّين في ربوبيّتهم، فهذا يعني أنّ الربّ الحقيقيّ هو الإله الواحد الخالق.وهذا انتقال إلى الاحتمال القادم القائل بوحدة الخالق والربّ.

إذاً، حتى يستقلّ هذا الاحتمال بنفسه لا بدّ من القول بأنّ الأرباب مستقلّون في ربوبيّتهم.

وهذا الاحتمال أيضًا غير صحيح؛ لأنّ هؤلاء الأرباب هم بحسب الفرض مخلوقون، أي إنّهم من الممكنات، وكذلك الكون هو ممكن، وقد تقدّم أنّ كلَّ ممكن يحتاج إلى واجب الوجود في أصل حدوثه،

وفي بقائه واستمراره، وهذا يعني أنّه يستحيل أن تستقلّ الأرباب الممكنة في إدارتها للمكنات.

وبهذا يبطل هذا الاحتمال الذي يمكن أن يصوَّر بصور عديدة تتعلّق بعلاقة الأرباب بالكون، فهل جميع الأرباب يديرون الكون ذاته، بحيث يدير كلّ واحد منهم كلّ الكون، أو أنّ كلّ ربّ منهم يدير جزءًا من الكون أو غير ذلك؟

وبما أنّ الاحتمال بطل من رأسه، فلا داعي لمناقشة هذه الصور كُلًّا على حدة:

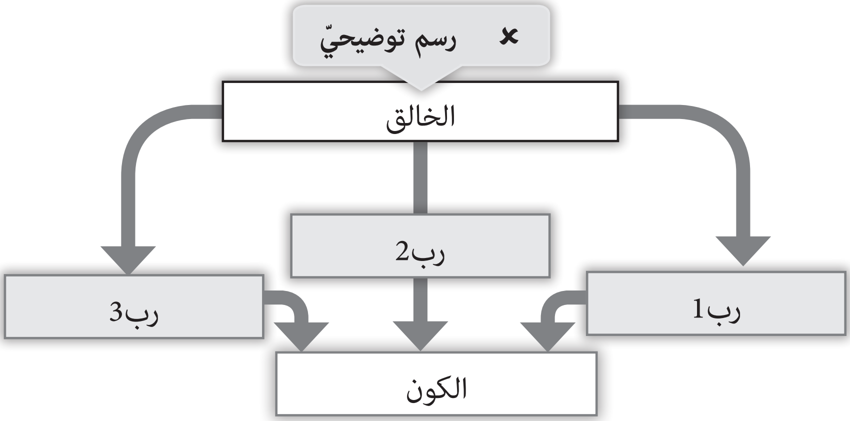

الاحتمال (4): أن يكون هناك خالق واحد هو ذاته الربّ لجميع الكون، وهذا معناه التوحيد في الخالقيّة والربوبيّة.

صور الاحتمالات الأربعة

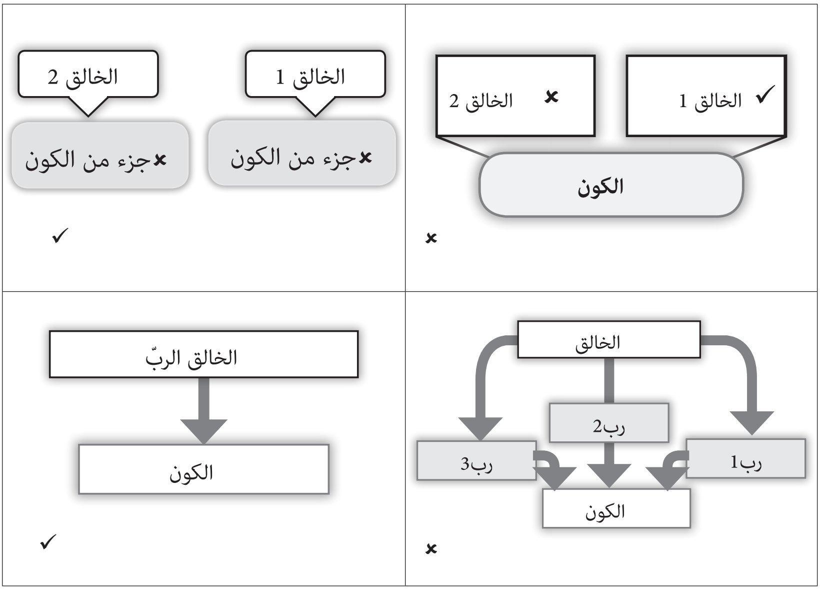

إنّ ما تقدّم من أدلّة، إضافةً إلى غيرها من الأدلّة التي لم أعرضها، يدلّ على أنّ واجب الوجود الغنيّ الخالق الربّ هو واحد في الخالقيّة

والربوبيّة، وهو صاحب الصفات الكماليّة المتقدّمة، وهو ما يعبَّر عنه في اللغة العربيّة بـ **اللّه**.

وبهذا ثبت وجود اللّه الخالق الربّ الكامل الواحد.

النتيجة

من خلال المسار السابق أصبحتُ مؤمناً باللّه الواحد الربّ الحكيم.

السؤال التالي:

بما أنّي آمنت باللّه الخالق الربّ الحكيم، أستطيع الآن، منهجيّاً أن أسأل:

لماذا خلقتني أيُّها الحكيم؟

| لماذا خلقني اللّه؟

ما توصلت إليه إلى الآن هو: أنّي لم أُوجَد صدفةً، بل إنّي مخلوق من قبل الله الخالق الغنيّ الحكيم.

وبما أنّ الحكيم لا يقوم بشيءٍ عبثًا، بل كلّ ما يفعله ينبع من هدف يريد الوصول إليه، أسأل الله الحكيم: لماذا خلقتني؟ ما هو هدفك من خلقي؟

من الواضح أنّ هذا السؤال، وإن كان موجّهًا إلى الله تعالى، إلاّ أنّي أبحث عن الجواب من العقل، فهو الذي أنتظر منه الإجابة عن سبب خلقي وهدف وجودي.

جواب العقل

أ. بما أنّ العقل قد أدرك. كما تقدّم. أنّ الله تعالى غنيّ، فإنّ مقدّمة إجابته هي: بالتأكيد، إنّ الله لم يخلقك لأجل حاجة منه إليك؛ لأنّه غنيّ لا يحتاج إلى أحدٍ في أيّ أمر، إذًا هو خلقك أيّها الإنسان، لأجلك أنت، لا لأجله هو.

ب. وبما أنّ العقل قد أدرك – كما تقدّم. أنّ الله تعالى حكيم، فإنّ من المؤكّد أنّ هدف خلق الإنسان ليس تسافله وانحطاطه؛ فإنّ هذا لا يتلاءم مع الحكمة، فهو ليس وضعًا للشيء في موضعه المناسب.

ج. إذًا لا بدّ أن يكون الهدف من خلق الإنسان هو تكامله.

وعليه فالنتيجة هي أنّ الله خلق الإنسان لأجل كماله.

هدف خلق الإنسان= الكمال الإنسانيّ

وهنا يأتي السؤال: هل أستطيع أنا من خلال أدوات معرفتي الأربع (الحسّ والخيال والوهم والعقل) أن أتعرّف على الطريق أو البرنامج الذي يؤدّي بي إلى الكمال؟

قبل الإجابة عن هذا السّؤال، لا بدّ من تحديد ما له علاقة بهذ التّكامل المطلوب، وهو عبارة عن الأمور الآتية:

2.1. الجسد والنفس

من الواضح أنّ التّكامل لا بدّ أن ألاحظ فيه جسدي الموجود فعلاً بالوجدان والحسّ، لكن هل يوجد شيء يعبِّر عن حقيقتي غير هذا الجسد؟

إنّ التأمّل بمساري في حياتي الماضية إلى اليوم مع ملاحظة الاكتشافات الطبيَّة يوضح لي الجواب فـ:

أنا ولدت عام 1968 في برج حمود، وكان وزني 3 كلغ، وقد سمّاني أبواي: أكرم.

ما زلت أذكر أوّل مرّة ذهبت فيها إلى مدرسة «**السنابل**» في النبعة حيث كنت أذهب مع أخوتي إليها مشيًا على الأقدام.

بعد ذلك أذكر جيّدًا حينما اندلعت أحداث الفتنة الأهليّة في لبنان عام 1975، وكان عمري 7 سنوات، وقد استشهد أخي الأكبر في هذه الحرب، وتهجّرنا إلى بلدتي ربّ ثلاثين، ثمّ تهجّرنا مرّة أخرى عام 1978 حينما دخل العدوّ الإسرائيليّ إلى جنوب لبنان، وكان عمري 10 سنوات.

ما زلت أذكر جيّدًا كيف ذهبنا سيرًا على الأقدام، ونزلنا إلى وادي الحجير بين بلدتي القنطرة وبني حيّان، إلى أن استقرّ الأمر بعائلتي في منطقة التهجير والحرمان «**وادي أبو جميل**» حيث تتلمذت في مدرسة الجيل الجديد. أتذكر أنّي كنت أذهب إليها باكرًا قبل أن يصل إليها أيّ أحد، فأفتح الباب الرئيسيّ من خلال شريط أدخله من الخارج.

وفي عام 1982 أثناء الاحتلال الإسرائيليّ لمدينة بيروت وفي عمر 14 سنة كانت العودة إلى بلدتي الجنوبيّة حيث انتسبت بعد سنة إلى الحوزة العلميّة في بلدة مركبا؛ لأتابع بعدها بسنة دراستي في حوزة

الرسول الأكرم ﷺ في منطقة الغبيريّ في الضاحية الجنوبيّة إضافةً إلى متابعة الدراسة الثانويّة.

وهكذا أذكر تلك السنوات الجميلة التي قضيتها في الحوزة، والتحقت فيها بالجامعة اللبنانيّة إلى أن سافرت إلى حوزة قم عام 1989 في عمر 21 سنة حيث قضيت فيها أجمل سنوات عمري، ثمّ عدت إلى لبنان عام 1998 في عمر 30 سنة، وكان ما كان في لبنان إلى يومي هذا، وأنا خلال كلّ هذه السنوات ما زلت أكرم، أكرم نفسه الذي وُلد عام 1968، أكرم نفسه الذي تهجّر الهجرتين، أكرم نفسه تلميذ مدرسة السنابل، وكاتب هذه السطور، مع أنّ العلم الحديث يؤكِّد أنّ أغلب جسد أكرم قد تبدّل مرّات عديدة خلال هذه السنوات، ومع ذلك بقي أكرمُ أكرمَ.

فهل أكرم هو هذا الجسد الذي تبدّل ثلاث وأربع وخمس وستّ... مرات؟!

ولو بُدِّل قلبي بقلب آخر أبقى أكرم.

ولو قُطِعت يدايَ ورجلايَ أبقى أكرم.

ولو عميت عينايَ أبقى أكرم.

ولو قمت بعمليّة تغيير لشكل وجهي أبقى أكرم.

ومهما سمنت أو هزل جسدي أبقى أكرم.

إذاً منْ هو أكرم؟ بالتأكيد إنّ حقيقة أكرم لا تختص بهذا الجسد[1]، بل هناك قوّة باطنيّة خفيّة غير مرئيّة هي حقيقة أكرم، وهذه القوّة هي التي يُطلَق عليها «**النّفس**». وهي التي حينما تفارق هذا الجسد، فإنّه يموت ويصبح بدون قوّة؛ لأنّ هذه النفس مصدر قوّته.

فالجسد يتلاشى، أمّا النفس فهي أمرٌ آخر، ولها شأنٌ آخر.

فإن كانت النفس، هذا الشيء الغامض، تُمثِّل حقيقة الإنسان، فحينما أتساءل: هل أعرف برنامج تكاملي؟ عليّ أن أعرف هذه النفس، وما هو الذي يحقّق تكاملها.

4.3. الفرد والمجتمع

وصلت إلى أنّ معرفة طريق تكاملي يتعلّق بي جسدًا ونفسًا، ولكن هل ينحصر طريق تكاملي بذاتي وشخصي، بغضّ النظر عن بقيّة الناس الذين هم مثلي في الإنسانيّة، أو لا بدّ أن أراعي هؤلاء أيضًا في مسيرة تكاملي؟ فمن الواضح أنّ مراعاة سائر أفراد المجتمع يؤثِّر في برنامج التكامل، لا سيّما في موارد التزاحم بين المصلحة الفرديّة والمصلحة الاجتماعيّة.إنّ هذه المراعاة تجعل مراعاة المجتمع أساسيًّا في برنامج التكامل.

(1) تأمّل في التقدّم الطبّي الذي أفاد بإمكانية إزالة رأس من جسد معاق لوضعه في جسد سليم، ليكون ناتج العملية أنّ صاحب الرأس هو الذي يحمل هويّة الحياة الكاملة.

6.5. الدّنيا والآخرة

حينما أتساءل عن إمكانيّة معرفتي لبرنامج تكاملي يرد سؤال أساس: ما هي السّاحة التي لا بدّ أن ألاحظها في عمليّة تكاملي؟ هل هي مقتصرة على هذه الدنيا التي أشاهدها وأعرفها بالحواسّ، أو أنّ هناك عالماً آخر تبقى فيه نفسي، لا بدّ من ملاحظته في عمليّة التكامل؟

إنّ العقل الذي وصل، بما تقدّم، إلى أنّ الله تعالى عادل حكيم، يجيب بأنّه لا يعقل أن تنتهي حياة الإنسان في نطاق الدنيا، فإنّ اقتصار حياته عليها يناقض عدالة الله وحكمته؛ لذا فالعقل يجزم أنّ هناك حياةً أخرى تستمرّ فيها نفسي، وبالتالي لا بدّ من مراعاتها في برنامج تكاملي الإنسانيّ.

توضيح ذلك:

عدل الله والآخرة

كم قرأنا في التاريخ، وعايشنا في الحاضر قصصًا عن مضطهَدين، عاشوا الظّلم والمأساة بأقسى صورها، ثمّ ماتوا في أقبية السجون، أو ذبحًا بالسيوف، أو صلبًا على الأعواد، بدون أن يتمكّنوا أو يتمكّن غيرهم من الاقتصاص من الظالمين. وفي الوقت نفسه قرأنا وعايشنا حالات الكثير من الظالمين عاشوا على فراش وثير، وماتوا في قصور فارهة، وشُيِّعوا بمواكب فخمة، بدون أن يصل إليهم لهيب ظلمهم للآخرين.

فلو أنّ الحياة اقتصرت على هذه الدنيا، ولم يكن هناك آخرة، فهل تتواءم هذه المشاهد مع عدل الله تعالى؟!!! كلا، ثمّ كلا؛ لا بدّ من يوم يُنتَصر فيه للمظلومين، ويُعاقَب فيه الظالمون.

حكمة الله والآخرة

هل من حكمة الله تعالى أن يخلق الإنسان لأجل العيش في هذه الدنيا التي جلُّها تعب وعناء، بحيث لا يحصل الإنسان فيها على لذّة إلاّ بعد معاناة ومشقّة وجهد؟ ولهذا أمثلة كثيرة، أعرض منها:

مثال رقم (1): من الأمور التي يسعد الإنسان فيها أكل الطعام. وهو ما قد يستغرق 10 دقائق أو 15 دقيقة أو 20 دقيقة أو أكثر من ذلك بقليل. لكن كم يستغرق هذا الطعام الذي يأكله من تعب وجهد ومعاناة.

إنّ رغيف الخبز الذي أكله الواحد منّا لم يوجد إلاّ بعد أن قام مزارع بفلاحة الأرض، وزرع البذر الذي احتاج منه عنايةً ليصبح نباتًا، ثمّ جاء موسم الحصاد، فقام بحصده، ثمّ بفرز حبّات القمح، وجاء دور الطحّان وطحن القمح، ثمّ جاء دور العجّان وعجنه، ثمّ أخذه الخبّاز وخبزه، ثمّ جُمعت الأرغفة في أكياس، ثمّ وزِّعت في المحلّات؛ ليتم شراؤها منها.

أمّا الطبق الذي كلّف جهدًا في شراء الموادّ الأساسيّة له من السوق، فقد سبقت هذا الشراء رحلةٌ من التعب البشريّ، أوصلت تلك الموادّ

إلى أمكنة التسويق، وبعدها وقفت زوجة ذلك الإنسان المسكينة حوالي ساعتين في المطبخ تحضِّر لزوجها الطعام.

وبعد كلّ هذه المعاناة يأكل الإنسان لمدّة دقائق معدودة، ثمّ يتعب من الأكل؛ لأنّ الكميّة المفيدة لا بدّ أن تكون محدودة، وإلاّ فقدْ يستدعي الإسراف في الطعام عيادة الطبيب الذي قد يحرمه ذلك الطعام مدّة مديدة.

مثال رقم (2): إن أراد الإنسان أنْ يصبح طبيبًا، فما هي رحلته لتحقيق أمنيّته؟ إنّه يدخل إلى المدرسة في سنٍّ صغيرة، يستيقظ في الصباح الباكر، ويستيقظ معه أهله، وتبدأ المعاناة من الروضة، إلى الابتدائيّ، إلى المرحلة المتوسّطة، إلى المرحلة الثانويّة، إلى الجامعة، يدرس، ويدرس، ويكبر وهو يدرس، ويعيش أزمة الامتحان، وينتظر بفارغ الصبر نتيجته، ويبقى يدرس 12 سنة ليدخل الجامعة، وسبع سنوات ليدرس الطبّ العامّ، ثمّ تأتي سنوات التخصّص، ممّا يعني أنّه سيبقى حوالي خمسٍ وعشرين سنةً يدرس ليتخرَّج طبيبًا متخصِّصًا.

وبعد ربع قرن من الدراسة يبدأ بالبحث عن العمل الذي لا يصل به إلى الراحة، بل يشغله في النهار، ويوقظه في الليل، ويوقفه مدّة طويلة في غرفة العمليّات ووو...

هكذا هي الحياة الدنيا، لا تُنال فيها لذّة إلاّ بعد تعب وجهد ومعاناة.

فلو افترضنا أنّ الحياة تقتصر على هذه الدنيا، بدون أن يكون هناك عالم آخر، فهل ينسجم ذلك مع حكمة الله تعالى؟ !!!

عودًا إلى بدء

إنّ ما تقدّم يوضّح أنّ التكامل الذي هو هدف وجودي لا بدّ أن يراعي جسدي ونفسي، فردي ومجتمعي، دنياي وآخرتي. فهل أستطيع من خلال أدوات معرفتي الأربع أن أعرف برنامج التكامل الذي يراعي كلّ الأمور السابقة؟

الجواب: كلا، أنا لا أستطيع معرفة طريق كمالي.

إذًا: عقلي يحتِّم أنّ الله الحكيم لا بدّ أن يتدخّل بطريقة ما ليعرِّفني إلى طريق كمالي.

السؤال: كيف تدخّل الله؟

أنا، شخصيًا، لم يتَّصل بي عبر طريق خاصّ كالإلهام وما شاكل، فهل اتّصل بغيري؟!

جميع من أعرفهم في حياتي لا يدَّعي أحدٌ منهم أنّ الله تواصل معه بشكل خاصّ. إذًا، بمن اتصل وعرّفه طريق الكمال؟!

لا بدّ أن أرجع إلى تاريخ الإنسانيّة، فهناك أشخاص عديدون «**ادّعوا**» أنّ الله تواصل معهم بطريقة خاصّة، وعرَّفهم الطريق التي توصل الإنسان إلى كماله، وطلب منهم أن يبلِّغوا ذلك للنّاس. لكن كيف لي أن أعرف من هو الصادق منهم، ومن هو الذي عنده الجواب عن سؤالي الذي يتعلّق بمعرفة الطريق الذي يوصلني إلى كمالي؟

المرفأ الثالث

- من هو المرسَل؟
- ما هي رسالته؟
- هل تحتاجُ إلى مُكمِل؟

من هو المرسَل من الله؟

أمام مشهد العديد من الناس الذين ادّعوا أنّ الله تواصل معهم، وأوصل إليهم الرسالة التي تعبِّر عن برنامج تكامل الإنسان، يأتي السؤال: ما هي الوسيلة التي أتعرّف بها على الرسالة الحقيقيّة التي ترشدني إلى كمالي، وبالتالي يحقّق اتِّباعُها هدفَ وجودي وخلقي؟

وبما أنّ العقل أوصلني إلى الله الواحد، فإنّ عليّ البحث عن الرسالات التوحيديّة التي أتى بها أولئك الناس، وعلى رأس هذه الرسالات ثلاث، هي: اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام.

المعجزة دليل صدق الرسالة

إنّ هناك عقدة في إثبات صحّة دعوى من يدّعي أنّ الله تواصل معه وأبلغه رسالة تكامل الإنسان؛ وذلك لأنّه يدّعي تواصلاً خاصًّا من الله المجرّد عن المادة بشكل لا يتيسّر للإنسان العاديّ أن يطَّلع عليه بأدواته المعرفيّة وبالشكل الطبيعيّ.

فمن يدَّعي الرسالة يخبر أنّ الله تواصل معه من خلال تكليمه

بكلام خاصّ لم يسمعه غيره، أو أنزل عليه مخلوقًا مجرّدًا يسمى «**مَلَك**» لا يراه ولا يشعر به الناس العاديّون، فكيف يمكن لهم أن يصدِّقوه في دعواه؟

ولحلِّ هذه العقدة طرح هؤلاء دليلاً يُسمَّى «**معجزة**».

وهي عبارة عن أمر عجيب يأتي به مدَّعي التواصل الخاصّ مع الله يمتاز بالخصائص الآتية:

1-أن يكون هذا الأمر خارقًا للأسباب الطبيعيّة التي يعهدها الناس.

2- أن يعجز الناس عن الإتيان به، ولذا سمِّي بالمعجزة.

3- أن تُطابق هذه «المعجزة» ما «يدَّعيه» صاحب الرسالة.

4- أن يأتي به من يدَّعي التواصل الخاصّ مع الله تعالى.

توضيح عناصر المعجزة

العنصر الأوّل: أن تكون خارقة للعادة

يعني أن تكون خارجةً عن الأسباب العاديّة والطبيعيّة المعروفة، بحيث تكون ممّا لا يعهده الإنسان، ولا تناله التجربة.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أنَّ كونها خارقة للعادة، هو خرقها للأسباب العاديّة، وليس للأسباب والقوانين العقليّة؛ لأنّ خرق القانون العقليّ مستحيل بذاته، فمن القوانين العقليّة أنّه يستحيل أن يجتمع النقيضان، فلا يمكن أن يجتمع وجود زيد وعدم وجوده من الجهة

ذاتها، وفي المكان والزمان ذاتيهما، لذا فإنّ هذا الأمر لا تناله المعجزة؛ لأنّه مستحيل بذاته، كما هو الحال في أنّ 1+1=2، فلا يمكن لأيّ شيء أن يجعلها أكثر من ذلك أو أقلّ. إضافةً إلى أنّ المعجزة تهدف إلى تصديق الآخرين بمن يدّعي التواصل مع الله، لإيصال الإنسان إلى كماله، وبالتالي لا بدّ من المحافظة على قوانين عقله التي هي أساس ذلك التصديق، كما أنّها عمدة السير في طريق الكمال.

ومن باب التوضيح أقول:

أ. إنّ الإنسان حينما يريد أن يصعد إلى الطابق العاشر من المبنى، فإنّ وسيلة ذلك أن يعتمد المصعد أو الدرج، أو الحبل أو الطائرة. لكن هل يمكن للإنسان أن يقفز من الأسفل إلى الأعلى، من دون الاعتماد على أيّة وسيلة ليصل إلى الطابق العاشر؟! نعم، إنّ ذلك ممكن عقلاً، إلّا أنّه خارق للأسباب العاديّة التي يعهدها الإنسان.

ب. إنّ تحويل العصا الخضراء إلى أفعى هو خارق للأسباب العاديّة، وليس للقوانين العقليّة؛ لأنّه في القانون العقليّ يمكن لهذه العصا أن تنحلَّ في التربة، ثم تنبُت من مادتها نبتة جديدة، فتأتي أفعى وتأكلها، فتتحوّل النبتة فيها إلى بيضة، ثم تتحوّل البيضة إلى أفعى. إذاً تحوّل العصا إلى أفعى في مدّة قصيرة أمر ممكن عقلاً، إلاّ أنّه خارق لما اعتاده الإنسان من قوانين الطبيعة التي تقتضي مرور زمن طويل لتتحوَّل العصا إلى أفعى.

العنصر الثاني: أن يعجز الناس عن الإتيان بمثلها

بهذا العنصر تفترق المعجزة عن أعمال السّحرة، والمرتاضين، وأصحاب الإبداع العلميّ، فهؤلاء قد يقومون بأمور يعدّها الناس خارقة للعادة، إلّا أنّها تكون قائمة على أسباب معروفة عند أهل الفنّ والعلم، وينحصر جهلها عند غير أهل الاختصاص، وبالتالي يكون الأمر غير إعجازيّ؛ لإمكان الإتيان بمثلها ممّن تعلّم قواعد الفنّ أو العلم، وتعرّف إلى خفاياه.

العنصر الثالث: أن تكون مطابقةً للدعوى

والمقصود أن تكون نتيجة الفعل موافقةً لما قصده الفاعل، أو طُلِبَ منه، ليكون دليلاً على صدق دعوته، فلو صدر عنه أمر خارق للعادة، لكنّه مخالف لما قصده أو طُلِبَ منه، لكان دليلاً على كذبه، بدل صدقه، وهذا ما نُقل حدوثه مع مسيلمة الكذّاب عندما طلبوا منه أن يتفل في بئر لتفيض ويكثر ماؤها، إلا أنّ ما حصل هو أنّه غار الماء متراجعًا إلى عمق الأرض، فدلّ ذلك على كذبه.

العنصر الرابع: أن يكون مصحوبًا بدعوى التواصل مع الله

حتى يدلّ الأمر الخارق للعادة على صدق دعوى التواصل الخاصّ مع الله تعالى، لا بدّ أن يكون مصحوبًا بتلك الدعوى؛ لأنّه قد تحصل أمورٌ خارقة للعادة من قبل بعض النّاس من أهل الإيمان العميق، من دون أن تصدر عنهم تلك الدعوى.

النتيجة

حينما تتحقّق هذه العناصر الأربعة، فإنّ فعل من يخبر عن اتّصاله باللّه عزّ وجل يكون دليلاً على صدقه في دعواه، وبالتالي نُصدِّق أنّه مكلّف من الله تعالى أن يخبرنا عن الطريق التي توصلنا إلى كمالنا.

أين المعجزة في هذا العصر؟

إنَّ الأديان المنسوبة إلى الله تعالى لم يخرج أيّ منها عن السياق السابق، بل جميعها اعتمدت في إقناع الناس بها على المعاجز. لكن هنا لا بدّ من تسجيل ملاحظة مهمّة جدًا، وهي أنّ المعجزة التي تهمّني أنا الباحث عنها في القرن الواحد والعشرين هي المعجزة التي تكون في زمني معجزة، كي أُصدِّق دعوى صاحبها. أمّا لو طُرحت معجزة على أنّها حصلت في التاريخ، ولم يكن هناك طرق إثبات قطعيّة بحصولها، فهي لا تنفعني في تصديق صاحبها، وأعطي لذلك أمثلة:

أ. إنّ أتباع الدين اليهوديّ يزعمون أنّ الدليل على صحّة وصدق دينهم هو المعاجز التي قام بها إنسان يُدعى «**موسى**»، ولعلّ أهمّها العصا التي انفَلقَ بها بحر عظيم إلى فلقتين كطودين، والحجر الذي بضربه انبجست العيون...الخ. لكنّي كإنسان يعيش في القرن الواحد والعشرين، أقول لليهود: أروني هذه العصا

وفعلها، وذلك الحجر وأثره؛ لأصدِّق نبيّكم «**موسى**»، وإلاّ فما تذكرونه هو بمثابة حكايات، لا أستطيع أن أؤمن بها من دون دليلٍ قطعيّ معاصر.

ب. يخبر أتباع الديانة المسيحيّة عن كثير من معاجز «**عيسى بن مريم**»، كإحيائه للموتى، وإشفائه للمرضى وغير ذلك، على أنَّها دلائل على صحّة دينهم،لكنّي أيضًا، أسألهم: إنّي لم أعش في عصره، وأشاهده يفعل ذلك، لذا فإنّي كي أُصدّق مقولتكم، عليكم أن تأتوني بدليلكم اليقينيّ العلميّ في هذا العصر على أنّ ذلك حدث فعلاً كما تقولون!

ج. وهكذا لو سألت المسلمين عن المعجزة الدالّة على صدق نبيِّهم «**محمّد**»، فاجابوني بأنّه نادى الشجرة، فانقلعتْ من محلّها وأقبلت إليه، وأنّ الحصى سبّحت بين يديه، وأنّ القمر انشقّ أمام ناظريه، فإنّي أقول لهم مثل ما قلت سابقًا، فإنّي لم أشاهده يفعل ذلك؛ ليكون ذلك دليلاً على أنّ دينكم جاء برسالة الله في التكامل الإنسانيّ.

المعجزة المعاصرة في الدّين الإسلاميّ

لكن، وللإنصاف، هناك فرق بين ما يقوله المسلمون، وما يقوله أتباع الأديان الأخرى، وهو أنّ المسلمين يعرضون معجزة خالدة معاصرة، بمعنى أنّ فيها جميع عناصر الإعجاز، بحيث يتعرَّف عليها ابن القرن الواحد والعشرين، كما يتعرَّف عليها من كان في عصر

محمد بن عبد الله، ويقتنع بها، كما اقتنع بها أصحاب محمد، ألا وهي القرآن الذي يطرح نفسه رسالة خاتمة، تعترف برسالات سابقة عليه، وهذا ما يجعل دراسة الإسلام أوّلاً؛ لتأخّره ودعواه الخاتمية، قد توفِّر عليَّ الدراسة المستقلّة للأديان السابقة.

فكيف يتمّ إثبات أنَّ القرآن معجزة في هذا العصر؟

إنّ معرفة هذا الأمر تتوقّف على تطبيق عناصر الإعجاز الأربعة المتقدّمة على القرآن، وابتدئ بها من العنصر الأخير انتهاءً بالعنصر الأوّل:

1. هل القرآن مصحوب بدعوى الرسالة؟

إنّ هذا الأمر واضح لا شكّ فيه.

2. هل القرآن مطابق للدعوى؟

إنّ هذا الأمر أيضًا واضح من جهة مواءمته لِما طرحَهُ «**محمّد بن عبد الله**».

3. هل عجز النّاس عن الإتيان بمثله؟

لقد تحدّى القرآن الناس أن يأتوا بمثله بشكل صريح، فمن آيات القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1].

(1) سورة الإسراء، الآية 88.

بل تحدّى القرآن الناس أن يأتوا بعشر سور مثل سوره بقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

بل تحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله بقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2].

ومع كلّ هذا التحدّي للعرب، وهم في قمّة البلاغة والفصاحة، لم يسجّل لنا التاريخ أيّة محاولة ناجحة أثبتت قدرة الناس على الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بمثل سورة واحدة منه.

ذكر التاريخ أنّ بعض الأدباء العرب، بعد سنوات طويلة على نزول القرآن، حاولوا أن يعارضوه، وهم: ابن المقفّع، وابن أبي العوجاء، وابن شاكر الديصاني، وعبد الملك الحضرمي. وقد بذل هؤلاء كلّ قدراتهم وجهودهم خلال عام كامل في هذا المجال، واجتمعوا بعد مرور عام في المسجد الحرام ليتدارسوا أعمالهم وجهودهم، فظهر لهم أنّهم لم يصلوا إلى النتيجة المطلوبة، وقد ورد أنّ جعفر الصادق مرّ عليهم أثناء اجتماعهم، وتلا الآية المتقدِّمة من القرآن وهي: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[3].

(1) سورة هود، الآية 13.

(2) سورة يونس، الآية 38.

(3) سورة الإسراء، الآية 88.

وعُرِف عن ابن المقفّع أنّه بعد مدة من اشتغاله بمعارضة القرآن مزّق ما جمع، واستحيا لنفسه من إظهاره[1].

وسجّل لنا التاريخ بعض المهاترات، التي لا تحتاج إلى تعليق، مثل معارضة مسيلمة الكذّاب لسورة الفيل بقوله: «**الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل**»[2].

إذًا العنصر الثالث متوفِّر، بقي العنصر الأخير وهو:

4. هل القرآن خارق للعادة؟

في مقام الإجابة طُرحت أمور عديدة دالّة على أنّه خارق للعادة، أبيِّنُ منها أمرين فيما يأتي.

---

(1) الطبرسي، احمد، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، (لا،ط)، النجف الأشرف، دارالنعمان للطباعة والنشر، 1966م، ج2، ص143.

(2) راجع: الإيجي، عضد الدين، المواقف، ج3، ص393.

ما هي رسالة الله؟

يطرح القرآن نفسه دليلاً على إعجازه باعتباره متّصفاً بـ:

بلاغة خارقة، لمعارف راقية، وعلوم مدهشة، وتنبّؤ بالمستقبل، من إنسان أمّي،
في كتاب لا اختلاف فيه.

بلاغة خارقة

لقد تحدّى القرآن النّاس ببلاغته، أسلوبًا، ونظمًا، وصوتَ حروف.

وقد سجّل التاريخ انشداد الناس إلى بلاغة القرآن، وإسلام العديد منهم بسبب هذا الانشداد، حتى نُعِتَ «**محمّد**» لأجل ذلك بالسّاحر.

ومن لطيف ما حكى التاريخ أنّ الوليد بن المغيرة المخزوميّ، الذي كان يُعدّ أبلغ العرب، جاء إلى «**محمّد**»، فقرأ «**محمّدٌ**» عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه يغريه بالمال، ويدعوه إلى اتخاذ موقف سلبيّ من «**محمّد**»، فكان جوابه: «**فوالله، ما فيكم**

رجل أعلم بالشعر منّي، ولا بِرَجْزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. والله، ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا. والله، إنّ لقوله حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو، ولا يُعلى عليه، وإنّه ليُحطِّم ما تحته»[1].

ولتوضيح بعضٍ من هذه البلاغة أعرض الأمثلة الآتية:

أ. ورد في القرآن: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾[2].

إنّه تصوير لمشهد التعذيب المرعب في النار، فهي تفور، وهو مشهد العين المُخيف، وأهل النّار يسمعون صوت الشهيق الذي يعني التهامهم وجذبهم إلى الأسفل، وهم بسماعهم لصوت الشهيق يصابون بالرّعب الشّديد، فتنخلع قلوبهم قبل أن تلتهمهم ألسنتها ويحرقهم لهيبها.

ب. ورد في القرآن: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾[3].

يصوّر القرآن الحقَّ، وهو مجرّد، بقذيفة يلقيها على الباطل الذي يصوّره بالهشّ الواهي؛ لأنّ الحقّ يصيبه في دماغه (فَيَدْمَغُهُ)، فيلقيه قشّة هامدة، إلا أنّ الإزهاق هو خروج الروح، والمراد بيان حتميّة انهيار الباطل، وبطلان أثره.

(1) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م، ج2، ص313.
(2) سورة الملك، الآية 7.
(3) سورة الأنبياء، الآية 18.

ج. نلاحظ أنّ الآيات الداعية إلى التأمّل والتفكير طويلة هادئة، كالآية: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

أمّا الآيات الدّالّة على العذاب والإنذار والتخويف، فهي قصيرة شديدة، كالآيات: ﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[2].

ورد أنّ جبير بن مطعم جاء «**محمّداً** »، وهو كافر، يريد أن يَفدي أحدهم، فسمعه يقرأ ﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾، فلمّا انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾، أسلم، وقال: «**خشيتُ أن يُدركني العذاب**»[3].

معارف راقية

وقد جاءت هذه القوالب لمعارف عالية، منها:

أ. مبدأ الوجود ووحدانيّته وحكمته. وهذا ما ورد في الآيات القرآنيّة الآتية:

. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5].

---

(1) سورة المائدة، الآية 16.

(2) سورة الطور، الآيات 1-8.

(3) الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، ط3، مصر، دار المعارف، (لا،ت)، ص27.

(4) سورة البقرة، الآية117.

(5) سورة الحشر، الآية 24.

. ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[1].

ب. إرسال الله الحكيم الأنبياء، ومعهم خرائط الكمال واعظين حاكمين.

ورد في القرآن: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ...﴾[2].

ج. مصير الإنسان

ورد في القرآن: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾[3]، مبرّرًا استهجان ذلك بالآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[4].

د. تاريخ البشرية بدءًا من أوّل إنسان، مرورًا بالأنبياء والقادة والمناوئين لهم إلى عصر الظهور.
ورد في القرآن:

. ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[5].

. ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6].

(1) سورة الأنبياء، الآية 22.
(2) سورة البقرة، الآية 213.
(3) سورة الأنبياء، الآية 104.
(4) سورة الحج، الآية 5.
(5) سورة الأعراف، الآية11.
(6) سورة هود، الآيتان 40-41.

وبعد «**نوح**» عرض قصص أنبيائه الأساسيّين إلى أن أنهى ذلك ببشرى في الآية القرآنيّة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[1].

هـ. القوانين الأساسية في المجتمع الإنسانيّ.

أعرض هذه القوانين مع الدّالّ عليها من آيات القرآن:

هـ.1. الحكم بالعدل

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[2].

هـ.2. أصالة احترام الحياة

﴿... مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾[3].

هـ.3.تحريم الاعتداء

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡىَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[4].

هـ.4. حصر المسؤوليّة بالمرتكب للإثم

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾[5].

---

(1) سورة التوبة، الآية 33.

(2) سورة النساء، الآية 58.

(3) سورة المائدة، الآية 32.

(4) سورة الأعراف، الآية 33.

(5) سورة الإسراء، الآية 15.

هـ.5. أصالة السلام في المجتمع البشريّ

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا...﴾[1].

هـ.6.تشريع الدفاع أمام الفتنة والعدوان

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

و. المسار الكماليّ للإنسان

بدءاً من تزكية النّفس التي وردت فيها آية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، مرورًا بأهميّة تكوين الأسرة وسرّ نجاح الزواج، كما في الآية: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ﴾[4]، واستمرارًا بيان أهميّة الإحسان في العلاقات الاجتماعيّة كما في الآية.

ويكمل القرآن تبيان المسار؛ لأجل إيصال الناس إلى تحقيق الأهداف الكبرى من خلال ظهور الكمالات الإنسانيّة التي اعتبرها القرآن أساسًا للتفاضل، فليس التفاضل في منهج القرآن بين الناس قائمًا على الجنس، ولا العرق، ولا النسب، ولا المال، ولا الجاه، ولا السلطة، بل هو قائم على كمالات متاحة التحقّق أمام جميع الناس، وهذا ما يظهر في هذه الآيات الآتية:

(1) سورة الأنفال، الآية 61.
(2) سورة البقرة، الآية 193.
(3) سورة الشمس، الآية 9.
(4) سورة الروم، الآية 21.

- ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1].

- ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[2].

- ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[3].

علوم مدهشة

إضافةً إلى تلك المعارف، فإنّ هناك جملةً من الآيات القرآنيّة تحدّثت عن مضامين علميّة متطابقة مع ما اكتشفه العلم الحديث.

لكن قبل عرض ذلك، لا بدّ من اللَّفْتِ إلى أنّ القضايا العلميّة المطروحة هي على نحوين: حقائق ونظريّات. أمّا الحقائق، فهي الأمور القطعيّة الثابتة التي لا يمكن أن يطرأ عليها أيّ تغيير، ولا يُحتمل خطؤها بأدنى احتمال، فهي نظير 1+1=2.

وأمّا النظريّات فهي معادلات قائمة على أسس موضوعيّة، ولها معايير حدّدها العلماء، إلاّ أنّ احتمال الخطأ فيها غير معدوم، فيُمكن أن يُكتشف خطؤها بعد حين.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ المطابقة إن لم تكن مع حقيقة علميّة، فإنّه لا يُبنى عليها بالشكل التامّ، وهذا ما ينبغي تمييزه في الآيات التي ذُكِر أنّ مضمونها متطابق مع العلم الحديث، وأعرض منها:

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) سورة الزمر، الآية 9.

(3) سورة النساء، الآية 95.

1. قانون الجاذبية

ورد في القرآن: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[1]. وقد ورد عن «**علي بن موسى الرضا**» (الإمام الثامن للمسلمين الشيعة) أنّه سُئل عن معنى الآية، فأجاب: «**ثَمَّ عمد ولكن لا ترونها**»[2]. وهذا ما اكتشفه العالم الإنكليزيّ نيوتن عام 1687 من قانون الجاذبيّة العامّة Gravitation Pull[3].

2. نقص الأوكسجين في السماء

ورد في القرآن: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[4].

تشير هذه الآية إلى ما أثبته العلم الحديث من أنّ الأوكسجين ينقص كلّما صعدنا نحو الأعلى، فعلى ارتفاع 3,5 أميال تصبح نسبة الأوكسجين في الهواء نصف ما هي عليه عند سطح الأرض؛ ممّا يسبّب شعور الإنسان الصاعد، باتجاه السماء، بضيق الصدر نتيجة نقص الأوكسجين، وهبوط الضغط الجوّي، فيصعب عليه التنفّس، وقد تنفجر الحويصلات الدمويّة الموجودة في الرئتين، ممّا يؤدّي إلى الموت[5].

(1) سورة الرعد، الآية 2.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمد اليزدي ومحمد البهبودي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1403هـ ج57، ص 79.

(3) Chandrasekhar.subrahmangan-Newtons principia for the common reader-oxford university perss-2003.p19.

(4) سورة الأنعام، الآية 125.

(5) Frisancho A.R:Humain Adaptation and Accomodation, University of Michigan.p175.

3. تلقيح الرياح

ورد في القرآن: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[1].

وتشير هذه الآية إلى ما اكتشفه علماء النبات من حاجة إنتاج الشجر والنبات إلى اللقاح، وأنّ للرّياح دورًا في تلقيحها[2].

4. بصمات الإنسان

ورد في القرآن: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[3].

اكتشف العلم في القرن التاسع عشر أنّ بصمات الإنسان في بنانه من أعقد ما فيه، وهذا ما نتج منه اتخاذها أداة للكشف عن هويّة الأشخاص، والتمييز بينهم[4].

تنبّؤ بالمستقبل

كما أنّ اللافت في المضامين القرآنيّة ما ورد فيها من إخبارات غيبيّة مستقبليّة لم تكن متحقّقة زمن نزول الآيات القرآنيّة، ومن تلك المضامين الغيبيّة:

1. إخبار القرآن عن غلبة الروم في الآية: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى

---

(1) سورة الحجر، الآية 22.

(2) A.VI.Shuvila M.R. VIgaraghavan- Abiotic pollination- biology of pollen APH publishing. P67- 69.

(3) سورة القيامة، الآيتان 3-4.

(4) STEVEN.M.STANLEY «MOUNTAIN BUILDING».earth system history (2nd edition) MACMILAN page 207 (2004).

ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[1].

2. إخبار القرآن برجوع «**محمّد بن عبد الله**» والمسلمين آمنين إلى مكّة بعد الهجرة، وذلك في الآية: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[2].

لا اختلاف فيه

اللافت أنّ هذه المعارف الراقية والعلوم المدهشة قد وردت متقطِّعة خلال 23 سنة في أحوال مختلفة، وأمكنة متعدّدة، وظروف متنوّعة، ليلاً ونهارًا، حضرًا وسفرًا، حربًا وسلمًا، بدون أن يؤثّر ذلك في وجود أيّ اختلاف فيها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[3].

من أمّي

لقد جذبت معارف القرآن إلى الإسلام العلماء والمفكّرين، لا سيّما أنّ مجتمع نزول القرآن كان يئد البنات، ويحتقر العبيد، ويتفانى بالثأر، ويتخبّط في طريقه المستقبليّ، فإذا بمحمد بن عبد الله يفاجئهم بهذه المعارف العالية، بتلك القوالب البلاغية الخارقة، ومع

(1) سورة الروم، الآيات: 1-5.
(2) سورة الفتح، الآية 27.
(3) سورة النساء، الآية 82.

هذا كلّه فإنّ هذه المعارف وتلك البلاغة جاءت من إنسان لم يُمارس القراءة والكتابة في حياته.

لم يشكّ أحد منهم بأمّيّته، فهم يعرفونه جيّدًا، بأنّه لم يقرأ في حياته، ولم يكتب.[1]

وقد نصّ القرآن على أُمّيّته بدون اعتراض من أحد، وذلك في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[2].

فمن الواضح أنّ الآية تدلّ على عدم ممارسة «**محمّد**» قبل نزول القرآن عليه أيّة قراءة أو كتابة، مفيدًا أنّ ذلك قد ساهم في تصديق الناس نبوّته، لا سيّما أنّ تلك المعارف القرآنيّة عالية المضمون، أتت بقالبٍ عربيٍّ راقٍ، لا يمكن أن تكون بتعليم شخصيّات غير عربيّة، حتى لو كان لها اطّلاع على بعض المعارف القادمة من أديان سابقة، وهذا ما أشار إليه القرآن في جوابه لمن غمز من قناة أنّ بعض المعارف القرآنيّة أتى بها محمّد من قين[3] روميّ، كان في مكة يصنع السيوف

(1) لا بدّ من التنبيه أنّ المقصود من كون «محمّد» أمّيّاً أنّه، كما ذكرتُ، لم يمارس القراءة والكتابة قبل «القرآن»، وهذا لا يتعارض مع بعض الأحاديث التي فسَّرت «الأُمّي» بالنِّسبة إلى أمّ القرى، أي مكّة، وذلك أنّ هناك فرقاً بين عدم ممارسته الفعليّة للقراءة والكتابة، وبين عدم علمه بهما علماً لدنيّاً من الله عزّ وجلّ، من دون تعليم من إنسان، فأُمّيته بالمعنى المطروح هنا لا تتنافى مع ما طُرح من علمه اللّدني.

(2) سورة العنكبوت، الآية 48.

(3) أي حدّاد (ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا،ط)، (لا،م)، نشر أدب الحوزة، 1405هـ ج13، ص350).

ويبيعها، فردّ القرآن على هؤلاء؛ بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾[1].

إنّ ما تقدّم من أدلّة أقنعني بأنّ القرآن يُمثّل معجزة معاصرة دالّة، بوضوح، على أنّه رسالة الله إلى النّاس، وعلى أنّ «**محمّد بن عبد الله**» تواصل معه الله عزّ وجلّ ليُعرِّف النّاس بالخريطة الإلهيّة التي توصلهم إلى كمالهم، وبالتالي، يُحقّقون من خلال ذلك هدف وجودهم.

والنتيجة أنّي أصبحتُ الآن مسلماً أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

لكن بقي سؤال يتعلّق بالقرآن، وهو: هل هذا الكتاب الإلهيّ يُمثّل جميعه رسالة الله عزّ وجلّ، بدون أن يطرأ عليه أيّة زيادة أو نقيصة، لأعتمد عليه كلّه بيقين تامٍّ على أنّه يُمثّل الخريطة الإلهيّة لوصول الإنسان إلى كماله؟

هذا ما أحاول الإجابة عنه في ما يأتي.

(1) سورة النحل، الآية 103.

هل رسالة الله منزَّهة؟

إنّ هذا السؤال عبارة عن تلخيص للتساؤل السابق الهادف إلى معرفة الخريطة الإلهيّة لوصول الإنسان إلى الكمال، والبدء بإيضاح المقصود من تحريف القرآن الكريم.

معنى التحريف

للتحريف معنيان أساسيَّان:

1. **التحريف المعنويّ:** أي أن يُفسَّر القرآن بغير المعاني المرادة، وبالتأكيد، فإنّ السؤال السابق لا يطال هذا النوع من التحريف الذي لا يضرُّ وقوعه في كون القرآن الكريم معجزة، كتفسير الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن يدَي الله، ووجهه، وعينه، والساق[1]، بما يؤدّي إلى تجسيم الله تعالى.
2. **التحريف اللفظيّ:** وله عدّة معانٍ، ما يهمُّنا منها خصوص ما يتعلّق بالسؤال السّابق، وهما معنيان:

---

(1) أنظر بركات، أكرم، يسألونك عن الله، ط1، بيروت، بيت السراج، 1433 هـ ص 12-18.

الأول: التحريف بالزيادة؛ بمعنى أنّ بعض القرآن الذي بين أيدينا ليس من الكلام المنزل من الله عزّ وجلّ.

الثاني: التحريف بالنقيصة؛ بمعنى أنّ القرآن الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن المنزل من الله تعالى.

فما الدليل على عدم تحريف القرآن بهذين المعنيين؟

الدّليل على عدم تحريف القرآن بالزيادة

إنّ الدّليل على عدم تحريف القرآن الكريم من ناحية الزيادة هو تواتر نقله من زمن رسول الله محمد ﷺ إلى عصرنا الحاليّ بما يولِّد القطع واليقين بعدم حصول زيادة.

ومعنى التواتر: «خبر جماعة كثيرين يستحيل عادةً تعمّدهم الكذب، وخطؤهم في فهم الحادثة، ويحصل بإخبارهم العلم»[1].

وتواتر القرآن الكريم حاصلٌ بدرجة عالية بسبب اهتمام رسول الله ﷺ وسائر المسلمين بالقرآن كتابةً، حفظًا، وضبطًا، وما يؤكّد على هذا الأمر أنّه في معركة اليمامة في عهد النبيّ محمّد ﷺ قُتل، على الأقلّ، سبعون حافظًا للقرآن الكريم، وقيل: كانوا قريب خمس مئة من حفّاظه[2].

(1) بركات، أكرم، دروس في علم الدراية، ط5، بيروت، بيت السراج، 2016، ص37.

(2) مرتضى، جعفر، حقائق هامّة حول القرآن الكريم، ط1، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1410هـ، ص 100.

إضافةً إلى التواتر، فإنّ الزيادة في القرآن إن كانت بسورة كاملة، فإنّ معناه إمكان بل وقوع الاتيان بسورة كسور القرآن الكريم، وإن كان بزيادة بعض الكلمات، أو المطالب في داخل السور، فإنّه يؤدّي إلى اضطراب السبك ونظام الكلام، وكلا الأمرين مخالف لإعجاز القرآن.

بعد أن تمّ إثبات عدم وجود زيادة في القرآن الكريم يمكن أن أستدلّ بالآيات القرآنيّة نفسها على عدم وجود أيّة نقيصة فيه.

الدليل على عدم تحريف القرآن بالنقيصة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

إنّ هذه الآية تدلّ على تدخّل إلهيّ خاصّ لحفظ القرآن الكريم، كما حصل في تنزيله، وإنّ هذا الحفظ هو في الحاضر والمستقبل بقرينة (حَافِظُونَ) التي هي اسم فاعل يدلّ على زمن الحاضر والمستقبل.

وقد أكّد القرآن الكريم على حفظه من الله تعالى بمؤكِّدات لفظيّة، فاستخدم «**إنّ**» التي هي حرفُ تأكيد، كما أضاف إليها لام التأكيد قبل «**حافظون**»، وما ذلك إلّا لمزيد العناية بتأكيد هذا الحفظ.

المراد من الذّكر

ولا يخفى أنّ المراد من كلمة (الذِّكْرَ) في هذه الآية هو القرآن الكريم؛ بقرينة ما سبق هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى

---

(1) سورة الحجر، الآية 9.

نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾[1]، فمن الواضح أنّ المراد من الذكر الذي أنزل على النبيّ محمّد ﷺ هو القرآن الكريم.

2. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[2]، فالآية تدلّ على نفي الباطل عن القرآن الكريم؛ باعتباره مسوَّرًا بحصنٍ آمنٍ، ولا شكّ أنّ التحريف هو من الباطل الذي حُصِّن منه القرآن الكريم.

ملاحظة جديرة بالاهتمام

لإثبات عدم تحريف القرآن الكريم، لم أكن أستطيع في البداية أن أثبت عدم تحريفه بالزيادة وبالنقصان بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3]؛ وذلك لورود الاعتراض عليّ بأنّ هذه الآية قد تكون زائدة، فلا بدّ، أوّلاً، من إثبات عدم زيادة القرآن الكريم، ثمّ بعد ذلك أثبت عدم نقيصته بوساطة هذه الآية. لذلك عرضت دليل التواتر أوّلاً.

وهنا أسجِّل ملاحظةً هي أنّني أستطيع أن اقتصر مدّة التواتر التي أحتاج إليها، وكذا يمكنني أن أثبت بالتواتر عدم زيادة أكثر آيات القرآن الكريم، وذلك من خلال مراجعة المخطوطات القرآنيّة المكتشفة والمبرهَن علميًا بوساطة المادّة الكربونيّة على تاريخها

(1) سورة الحجر، الآية 6.

(2) سورة فصلت، الآيتان 41-42.

(3) سورة الحجر، الآية 9.

وزمن كتابتها. وقد بحثت عن نسخة قرآنيّة تحتوي سورة الحجر التي فيها آية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1]، وفعلاً وجدت هذه السورة في عدّة مخطوطات قديمة تعود إلى القرن الأوّل، منها مخطوطة صنعاء العائدة إلى النّصف الأوّل من القرن الأوّل الهجريّ، أي هي في زمن النبيّ محمّد ﷺ وصحابته، ففي صفحة الرَّقْم (4B) كُتبت الآية السّابقة بوضوح[2]. ومن الواضح أنّ التواتر في تلك المدّة القصيرة جليّ وواضح من دون شكّ، وبهذا أكون قد وصلتُ بسهولة، إلى إثبات قطعيَّة كون هذه الآية من القرآن الكريم، والتي من خلالها أستطيع أن أثبت عدم تحريف كلّ كتاب الله بالزيادة والنقصان بالبيان المتقدّم.

ولمزيد من التأكيد، لاحظ النّسخ القرآنيّة الأخرى التي تحتوي آية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ في الجدول الآتي:

	اسم المخطوطة	رقم الصفحة المخطوطة	الفترة الزمنية	مكان الحفظ
1	مخطوطات صنعاء (الرقم1)	b4	النصف الأول من القرن الأول الهجريّ	دار المخطوطات- صنعاء- اليمن
2	مخطوطات صنعاء (الرقم01-DAM29.1)	13B	القرن الأول الهجري	دار المخطوطات- صنعاء- اليمن

(1) سورة الحجر، الآية 9.

(2) http://www.islamic-awareness.org/quran/text/mss/

	اسم المخطوطة	رقم الصفحة المخطوطة	الفترة الزمنية	مكان الحفظ
3	Parisino-petropolitanus	53v	النصف الثاني من القرن الأول الهجري	المكتبة الوطنية- باريس/ المكتبة الوطنية الروسية- سان بطرسبرج-وغيرها
4	B.L.OR.2165	32R	النصف الثاني من القرن الأول الهجري	المكتبة البريطانية-لندن
5	Arabe 331	24r	القرن الأول الهجري	المكتبة الوطنية-باريس

معنى حفظ القرآن من التحريف

بعد أن ثبت كون القرآن الكريم الذي بين أيدينا غير محرَّف لا بالزيادة ولا بالنقصان، يأتي السؤال حول معنى هذا الحفظ الإلهيّ:

فهل يعني أنَّ أحدًا لا يمكن له أن يطبع القرآن محرَّفًا؛ بمعنى أنّه إذا أراد أن يفعل ذلك فإنّ الله تعالى يتدخّل ويشلّ يده؟! بالتأكيد ليس الأمر كذلك.

إنّ حفظ القرآن الإلهيّ لا يخرج عن المسار الاختياريّ الذي رسمه الله تعالى للإنسان.

إذًا، ما معنى حفظ الله عزّ وجلّ للقرآن الكريم من التحريف؟

إنّ هذا الحفظ الإلهيّ تجلّى بصياغة القرآن صياغة إعجازيّة ينتفي الداعي معها للتحريف من قبل أيّ اتجاه، أو مذهب ينتسب إلى الإسلام، ومع ضمان عدم تحريفه في المجتمع الإسلامي من قِبَل

المسلمين، ينتفي، بشكل واضح، التحريف من قِبل غيرهم.

وتوضيح ذلك: أنَّ المتعمّق في آيات القرآن الكريم التي يمكن أن تكون مسارًا للاختلاف السلبيّ، يُلاحظ أنّها لم تكتب بصور زجاجيّة؛ بمعنى أنّها إمّا أن يُفهم منها معنى محدّد، أو تكسر ولا تكون، بل كُتِبَتْ على أساسين:

الأوّل: إمكان توجيهها إلى أكثر من معنى بحسب الاتّجاهات المتعدّدة، بغضّ النَّظر عن صحّة التوجيه.

الثاني: إنّه مع إمكان ذلك التوجيه، إلاّ أنّ من أراد معرفة الحقيقة بشكل موضوعيّ، فإنّ القرآن الكريم يوصله إليه.

مثال توضيحيّ

لتوضيح الفكرة، لنتأمَّل الآيات التي اختلف في كون مورد نزولها هو عليّ بن أبي طالب، أو هو وسائر أفراد أسرته، أو في دلالاتها على موقعهم الخاصّ عند الله تعالى، فإنّها لم يرد فيها الاسم بوضوح، فلم يقل الله عزّ وجلّ: «إنّما وليّكم الله ورسوله وعليّ»، ولم يقل الله تعالى : «يا أيها الرسّول بلّغ ما أنزل إليك في ولاية عليّ...»، ولم يقل عزّ وجلّ: «إنّما يريد الله ليذهب عن عليّ وفاطمة والحسن والحسين الرجس».

ولو كان الله عزّ وجلّ قد ذكر ذلك بالتفصيل لما كان مستغربًا أن يحرَّف القرآن، وتحذف منه تلك الأسماء، إذ كيف يتحمّل من أَمَرَ

بلعن عليّ بن أبي طالب على منابر المسلمين عشرات السنين أن يكون اسم «**عليّ**» في تلك الآيات؟!

من هنا كانت صيانة القرآن مختلفة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1].

إنّ المتأمّل في هذه الآية يدرك أنّ المراد منها شخص محدّد، وليس الحديث عن قضيّة عامّة؛ لأنّه لم تجر العادة أن يؤتي المسلم زكاته وهو راكع، وهذا ما يتلاءم مع ما ورد أنّها نزلت بعد أن تصدّق عليّ بن أبي طالب بخاتمه وهو يُصلّي.

ولكن مع ذلك، فإنّ البعض فسّر هذه الآية بأنّ المراد من الراكعين الخاشعون؛ وذلك لأنّ صياغة الآية لم تكن زجاجيّة.

وهكذا، فإنّ من يقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[2]، فإنّه يجد فيها تأكيدًا على مسألةٍ في غاية الأهميّة تتعلّق بأصل الرسالة، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لديه حذر من تبليغها لما قد تُحدث من تداعيات سلبيّة بعد التبليغ، وهذا الأمر ينسجم مع ما رُوي بأنّ مورد نزولها هو إعلان ولاية عليّ بن أبي طالب في غدير خُم.

ولكن مع ذلك فإنّ البعض حملها على تبليغ ما تبقّى من آيات قرآنيَّة.

(1) سورة المائدة، الآية 55.

(2) سورة المائدة، الآية 67.

وهكذا بالنسبة لآية التطهير التي يُلاحظ المتتبّع لها، وللآيات السابقة لها، كيف أنّ الله تعالى غيّر ضمير المؤنّث بضمير المذكّر.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وهذا له دلالة على أنّ المراد في آية التطهير ليس نساء النبيّ ﷺ، بل آخرون فيهم ذكور على الحدّ الأقلّ، ولكن مع ذلك فإنّ البعض استفاد من وجود آية التطهير ضمن آيات نساء النبيَّ ﷺ، ليتحدّث عن مورد نزول آخر، وبالتالي، انتفى داعي التحريف.

إنّ هذه أمثلة عمليّة على صيانة القرآن الكريم من خلال صياغته بحيث يظهر الحقّ فيه، مع وجود لتفسير آخر ينتفي معه داعي التحريف.

إلى هنا تمّ إثبات أنَّ رسالة الله المباشرة التي تمثّل خريطة الكمال الإنسانيّ متمثّلة في القرآن الكريم السالم من أيِّ تحريف. وهنا يأتي سؤال: هل يكفي القرآن وحده للوصول إلى ذلك الكمال؟ أو أنّ الأمر يحتاج إلى مكمل آخر؟

وهذا ما أحاول الإجابة عنه في ما يأتي.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 33.

هل يكفي القرآن وحده لبيان خارطة الكمال؟

قبل الإجابة أذكِّر بتأكيد القرآن الكريم بأنَّ دائرة الكمال الذي يريده الله عزّ وجلّ للإنسان تشتمل على النفس إضافةً إلى الجسد، وعلى المجتمع إضافةً إلى الفرد، وعلى الآخرة إضافةً إلى الدّنيا.

فقد ركّز القرآن الكريم على محوريّة النفس، وضرورة العمل على تنميتها وتكاملها وتزكيتها، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[1].

كما شدّد الكتاب العزيز على أهميّة مراعاة الدّنيا والآخرة، وعدم الاقتصار على إحداهما، مع مراعاة تقديم الآخرة هدفًا على الدنيا، قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[2].

كما بيّن القرآن الكريم أنّ التكامل الذي يُراد تحقيقه من رسالات الله تعالى لا يقتصر على الفرد، بل إنّ هدف الرسالات

(1) سورة الشمس، الآيات: 7 إلى 9.

(2) سورة القصص، الآية 77.

تكامل المجتمع الإنسانيّ إضافةً إلى الفرد نفسه. وهذا ما نقرؤه في الحوار بين الله تعالى وملائكته حينما أخبرهم عزّ وجلّ عن قراره خلق الإنسان وجعله خليفة له على الأرض، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وكانت ردّة فعل الملائكة تساؤلاً يتعلّق بالمسير الاجتماعيّ لبني البشر؛ إذ كانت ترى أنّ مسيرة الإنسانيّة وقافلة البشريّة سوف تسير نحو التسافل لا التكامل، وهذا ما عبّر عنه الله تعالى حكايةً عن الملائكة بقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ﴾[2]، فاللّافت أنّ الملائكة لم تنطلق في سؤالها من التسافل الفرديّ، وأنّ هذا الإنسان لن يصلّي ولن يصوم، ولن يسبِّح، ولن يحمد الله، بل انطلقت في إشكالها، بحسب الظاهر، من المصير الاجتماعيّ، وأنّ مآل هذا المصير إلى تسافل لا تكامل.

وفي الجواب نقرأ الحسم الإلهيّ بخطأ الملائكة في قراءتها للمستقبل، وهو خطأ لا ينطلق من عدم مطابقة ما قالت (سفك الدماء، الفساد في الأرض) للواقع، فإنّ ما قالته حدث وتحقّق، إنّما ينطلق من كون رؤيتها المستقبليّة اقتصرت على القسم التسافليّ من اللَّوحة، ولم تنظر إليها كلّها لترى الكمال الذي ستصل إليه مسيرة الإنسانيّة؛ لذا قال الله تعالى لها مبيِّنًا عدم معرفتها بكامل اللَّوحة

(1) سورة البقرة، الآية 30.
(2) سورة البقرة، الآية 30.

الإنسانيّة، وبكلِّ قافلة البشريّة: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]. وتكملة الآيات تُفيد أنّ الملائكة بعد ظهور الأسماء رضخت، والتفتت إلى أنّ سؤالها يمسّ صفة الحكمة الإلهيّة، وأنّ تسافل البشريّة يعني أنّ الحكمة غير متحقِّقة من خلق الإنسان؛ لذا اعتذرت مبديةً إيمانها بتلك الحكمة ﴿سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾[2].

إذًا الآيات ترسم بوضوح أنّ إرادة الله عزّ وجلّ من خلق الإنسان لا تقتصر على الجانب الفرديّ، بل تهدف إلى تحقيق التكامل الاجتماعيّ؛ لذا نلاحظ أنّ الله تعالى في خطابه لرسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يؤكِّد عليه أن لا يقتصر في حياته على العلاقة الروحيّة الخاصّة بينه وبين الله بعيدًا عن المجتمع، فيقول عزّ وجلّ له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِىَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾[3].

كما أكّد القرآن الكريم أنّ هذا التكامل الاجتماعيّ هو هدف رسالة الإسلام الخاتمة، وأنّه سوف يتحقّق من خلال ظهور دين الله على جميع الأديان قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[4].

(1) سورة البقرة، الآية 30.

(2) سورة البقرة، الآية 32.

(3) سورة المزمل، الآيتان: 6-7.

(4) سورة الصف، الآية 9.

عودًا على بدء

بعد وضوح ما تقدّم يأتي السؤال المتمِّم للأسئلة السابقة: هل القرآن وحده يكفي ليكون طريقاً لكمال الإنسان والمجتمع البشريّ، بحيث إنّ الإطّلاع عليه يكون كافيًا في تحقيق ذلك؟

والإجابة عن هذا السؤال تكمن في أمرين:

الأمر الأوّل (المرجعيَّة الدينيّة)

لم يطرح القرآن الكريم نفسه على أنّه، وحده بدون الارجاع إلى غيره، كافٍ في معرفة النّاس طريق كمالهم، وهذا ما نلاحظه في عدم ذكر الكثير من الأمور الفقهيّة في القرآن الكريم، ولذا أكّد على لزوم الرجوع إلى الرّسول محمّد ﷺ، والالتزام بكلّ ما يأتي به، باعتباره مكمِّلاً للدين الإسلاميّ الذي يمثِّل خارطة طريق لكمال الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1].

عصمة النبيّ ﷺ في التبليغ

بناءً على ما تقدّم يُطرح سؤال هو: من الواضح أنّه يصحّ لنا الاعتماد على القرآن الكريم لمعرفة طريق كمالنا؛ لأنّه كلام الله، فهو منزّه لا يشوبه خطأ. فهل حال ما يصدر عن النبيّ محمّد ﷺ في بيان طريق الكمال هو حال القرآن الكريم في نزاهته عن الخطأ؟

(1) سورة الحشر، الآية 7.

الجواب: إنّ العقل الإنسانيّ يحكم بوضوح أنّ النبيّ معصوم من أيّ خطأ في تلقّي وبيان طريق الكمال للنّاس؛ لأنّ هذا الأمر يرتبط بهدف خلق الله للإنسان، الذي هو سيره في طريق كماله. فقد تقدّم أنّ الله الحكيم يجب منه أن يبيِّن طريق الكمال هذه.فإذا كان القرآن وحده لا يكفي لبيان تفاصيل برنامج الكمال، كان لا بدّ من ضمٍّ أمر آخر إليه لبيان ذلك، وهو ما يصدر عن النبيّ ﷺ. وبناءً عليه يجب من الله تعالى أن يعصم النبيّ ﷺ من الخطأ في هذا التبليغ لطريق الكمال، وإلاّ لحصل خلل من الهدف الإلهيّ من خلق الإنسان.

وقد بيَّن الله تعالى أنّه حصَّن الرسل عليهم السلام في تبليغهم للرسالات الإلهيّة، بقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[1].

والدليل السابق يختزن محتوًى لا يقتصر على أقوال النبيّ ﷺ فحسب، بل يشمل أمرين آخرين، هما: أفعاله، وتقاريره، ويُطلق على مجموع أقوال النبيّ ﷺ وأفعاله وتقاريره مصطلح «**السنّة النبويّة**» ولتوضيح ذلك أعرض الآتي:

---

(1) سورة الجنّ، الآيات 26-28.

عصمة النبيّ ﷺ في فعله

إذا قام النبيّ ﷺ بعمل ما، فهل يُحتمل كون ما يقوم به حرامًا يعاكس السير في طريق الكمال؟

إنّ ما تقدَّم يحسم النتيجة بكون ذلك الاحتمال غير وارد أصلاً؛ وذلك لأنّ النبيّ ﷺ، بحسب ما ثبت، هو منتخَب ومختار من الله تعالى، لبيان الرّسالة التي هي خريطة عبور الإنسان إلى كماله. وهو متّصل به اتّصالاً خاصًّا، أمكنه من خلاله أن يتلقّى كلمات الله تعالى، ليبلّغها للنّاس، وليكمل تبليغ خريطة الكمال بوساطة تبليغه الخاصّ، فهو يأمر النّاس، وينهاهم، ويرشدهم إلى طريق الصواب ليتّبعوه، ويزجرهم عن اتّباع طريق الخطأ، وهذا ما يجعله في موقع القدوة الأولى للناس.

فلنتصوّر أنّ النبيّ ﷺ في هذا الموقع يرتكب حرامًا، ألا يُخلُّ هذا بالهدف الإلهيّ، وهو هداية الناس إلى طريق كمالهم؟ ألا يؤثِّر ذلك في زعزعة اعتقاد البعض بنبوّته؟ ألا يسقط ذلك موقع القدوة ذا الأهميّة الكبرى في عمليّة التغيير وتحقيق الهدف؟!

عصمة النبيّ ﷺ في تقريره

وكما أنّ فعل النبيّ ﷺ لا يمكن أن يكون محرّماً، فإنّ تقريره وسكوته ﷺ عن فعل غيره، في الظروف الطبيعيّة، يدلّان على أنّ هذا الفعل غير محرَّم، وإلّا لقام ﷺ بتعليمه في حال كون الآخر لا يعلم حرمته، أو لنهاه عنه في حال كون الآخر يعلم بالحرمة ومع

ذلك ارتكب الفعل المحرَّم؛ وذلك لوجوب تعليم الأحكام الشرعيّة، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر الثاني (القيادة الاجتماعيّة)

إنّ الإنسان العاقل المؤمن بما تقدّم، يَعرف بوضوح أنّ مسيرة التكامل الإنسانيّ الاجتماعيّة لا يكفي فيها الاطّلاع على النصّ الإلهيّ أو النبويّ، بل إنّ التكامل لا بدّ فيه من قائد يعمل لتحقيق مصالح المجتمع، ويحدِّد أولويّاته على المستويات السياسيّة والعسكريّة والأمنيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وما شاكلها، فمن دون دلالة القائد، وقيادته لن يتحقّق هدف التكامل الاجتماعيّ. وبما أنّ العقلاء يتوجّهون في معرفة القائد إلى أكمليّة المواصفات من حيث المعرفة والكفاءة والحصانة الذاتيّة، فلا يُتصوّر في زمن رسول الله محمّد ﷺ أن يكون هذا القائدُ غيرَه ﷺ، من هنا أكّد القرآن الكريم، إضافةً إلى المرجعيّة الدينيّة للرسول ﷺ، على قيادته الاجتماعيّة بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1]. واستعمل في ذلك مصطلحًا يختزن الكثير من المعاني القياديّة والمعنويّة هو الولاية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ...﴾[2].وقال عزّ وجلّ في تحديد ولايته على المؤمنين: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[3].

(1) سورة النساء، الآية 59.

(2) سورة المائدة، الآية 55.

(3) سورة الأحزاب، الآية 6.

الخلاصة: إنَّ القرآن الكريم طرح أنّ معرفة طريق الكمال، وتحقيق هدف التكامل، إضافةً إلى القرآن الكريم، يحتاجان إلى عنصرين:

الأوّل: المرجعيّة الدينيّة لرسول الله ﷺ المتمثِّلة بالسُنَّة النبويَّة.

الثاني: القيادة الاجتماعيّة لرسول الله ﷺ.

يبقى سؤالان:

1. أين هي السنّة النبويّة؟

2. أين هو موقع القيادة الاجتماعيّة بعد رسول الله ﷺ؟

المرفأ الرابع

أين هو مُكمِّل الرسالة عند أهل السُّنّة؟

تقدم أنَّ طريق الكمال الإنسانيّ الذي يحقِّق هدف الله الحكيم في عصرنا هذا يتوقّف على أمرين:

الأوّل: النصّ الدينيّ المبيِّن والمرشد إلى ذلك الطريق، وقد ثبت أنّ هذا النصّ عبارة عن القرآن الكريم والسُنَّة النبويّة.

الثاني: القيادة الاجتماعيّة.

إنّ الجواب واضح بالنسبة إلى القرآن الكريم، فهو حاضر مشخّص محدّد أمامي بلا شكّ، وقد ثبت عندي أنّه الرسالة الإلهيّة ذاتها التي نزلت على رسول الله محمّد ﷺ بدون زيادة أو نقصان.

لكن يبقى السؤال: أين هي السُنَّة النبوية؟ هل يوجد كتاب أو مجموعة كتب هي عبارة عن حقيقة أقوال النبيّ ﷺ، أفعاله وتقاريره؟

من الواضح أنّ الأمر ليس كذلك. فإنّ المشهد الأوّليّ للعلماء المسلمين، وأجوبتهم الابتدائيّة حول هذا الموضوع، لا تروي ظمأ الباحث عن السُنَّة النبويّة، بل إنِّ القراءة لقسم كبير من تاريخ المسلمين، لاسيَّما «السلطانيّ»[1] منه يوجب حيرة واندهاشًا في حال السنّة النبويّة، وما وصلت إليه!!

(1) المقصود التاريخ الذي كتب من قبل المؤيّدين للسلطة الحاكمة.

المشهد التاريخيّ «السلطانيّ» لمصير السُّنَّة النّبويّة

السُّنَّة النبويّة في عهد أبي بكر

رغم أنَّ السُّنَّة النبويّة في رسالة الإسلام هي العنصر الثاني بعد القرآن الكريم نتفاجأ في التاريخ الإسلاميّ بحدث غريب هو أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ جمع أبو بكر النّاس بعد تولّيه الخلافة، وقال لهم: «**إنكم تحدِّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والنّاس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدِّثوا عن رسول الله ﷺ شيئًا، فمن سألكم، فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه**»[1].

وتنقل ابنته عائشة أنّ أبا بكر لم يكتفِ بما قال، بل عَمَد إلى تجميع ما كُتِب من أقوال رسول الله ﷺ وأَتْلَفَها. قالت: «**جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ، وكانت خمس مئة حديث، فبات ليلةً يتقلّب كثيراً وقالت: فغمَّني، فقلتُ: أتتقلّب لشكوى، أو لشيءٍ بلغك؟! فلمّا أصبح قال: أي بنيَّة! هلمّي بالأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها. فقلت له: لم أحرقتها: قال: خشيتُ أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته، ووثقت به، ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذلك**»[2].

---

(1) الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت)، ج1، ص 2-3.

(2) المصدر السابق، ج1، ص 5.

السُنَّة النبويّة في عهد عُمَر

ولمّا تولَّى عُمَر بن الخطّاب الخلافةَ سلك مسلك سلفه في الموقف السَّلبيّ من موضوع نشر الأحاديث عن رسول الله ﷺ،بل تخطّاه في ذلك؛ فعن عروة أنّ عُمر بن الخطاب أراد أن يكتب السّنن، فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق فيها شهرًا، ثم أصبح يوماً، وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أريد أن أكتب السّنن، وإنّي ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كُتبًا، فأكبّوا عليها، وإنّي،والله، لا أُلبس كتاب الله بشيءٍ أبدًا»[1].

إصرار عُمَر على منع الرواية عن النبي ﷺ

لم يكتفِ عُمَر بن الخطّاب بمنع كتابة السُّنَّة، بل كان يدعو إلى تقليل نشرها بين النّاس، فعن قرظة بن كعب قال: «**بعثنا عُمَر بن الخطّاب وشيّعنا. فمشى معنا إلى موضع يقال له:** «**صرار**»، فقال: أتدرون لِمَ مشيتُ معكم؟ قال، قلنا: لِحَقّ صحبة رسول الله ﷺ ولِحَقّ الأنصار. قال: لكنّي مشيتُ معكم لحديثٍ أردتُ أن أُحدّثكم به، فأردتُ أن تحفظوه لممشاي معكم. إنّكم تَقدُمون على قومٍ للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل. فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم،

(1) الصنعانيّ، عبد الرزاق، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج11، ص 258/ ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، (لا،ط)، (لا،م)، دار الكتب العلمية، 1398هـ ج1، ص 64/ الخطيب البغداديّ، أحمد، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، ط2، (لا،م)، دار إحياء التراث، 1974م، ص 50.

وقالوا: أصحاب محمّد ﷺ. فأقِلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، ثمّ أنا شريككم».[1]

وفي سنن الدارميّ أكمل النصّ السابق بقول قرظة: «**فما حدّثت بشيء، وقد سمعت كما سمع أصحابي**»[2].

ثمّ بعد ذلك نقل الدارميّ عن قرظة نفسه أنّه قال: «**وإنّي كنتُ لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله ﷺ، وإنّي لمن أحفظهم له، فإذا ذكرتُ وصيّة عمر سكتّ**»[3].

وفي مستدرك الحاكم: إنّ بعض أهل الكوفة قال لقرظة: «**حدِّثنا، قال: نهانا ابنُ الخطاب**»[4].

في هذه الرواية نقاط عديدة ينبغي الإضاءة عليها، منها:

1. يبدو أنّ ما تحدّث به عُمَر بن الخطاب مع قرظة وأصحابه هو أشدّ من إقلال الروايات عن رسول الله ﷺ وهذا ما يُفهم من قول قرظة: «**نهانا ابن الخطّاب**»، «**فإذا ذكرت وصيّة عُمَر سكتّ**».

(1) القزويني، محمد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد عبد الباقي، (لا،ط)، (لا،م)، دار الفكر، (لا،ت)، ج1، ص12.

(2) الدارمي، عبد الله، سنن الدارمي، (لا،ط)، دمشق، مطبعة الاعتدال، 1349هـ ج1، ص 85.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، تحقيق يوسف المرعشلي، (لا، ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا، ت)، ج1، ص 102.

2. إنّ المطلب الذي أراده ابن الخطّاب من تلك المجموعة من الصّحابة يعدّ عنده مهمّاً إلى درجة استدعت خروجه معهم مسافةً طويلةً لتوديعهم، وطَلَبِ ذلك منهم.
3. إنّ ابن الخطاب كان يُدرك صعوبة تقبّل المطلب من الصّحابة، فقال لهم: «**أنا شريككم**»، مقابل ما قد يعتقدونه من الإثم»[1].

عمر يحبس الصحابة كي لا يحدِّثوا

روى الحاكم في المستدرك أنّ عمر بن الخطّاب قال لابن مسعود ولأبي الـدّرداء ولأبي ذرّ: «**ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ! وأحسبه حَبَسَهم بالمدينة حتى أصيب**»[2]. ثمّ عقَّب قائلاً: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين**»[3].

السُّنَّة النبويّة بعد عهد الخلفاء

باستثناء عهد عليّ بن أبي طالب، فإنّ منع تدوين السنّة النبويّة (لا منع نقل الأحاديث النبويّة مشافهة) بقي سارياً إلى عهد عمر بن عبد العزيز الذي تولَّى الملك عام 99 من الهجرة وتوفّي عام 101 منها، فإنَّ هذا الحاكم قام بإجراء مراجعة نقديَّة لما آلت إليه الأمور في الدولة الأمويّة، فقام بثلاث خطوات جريئة سُجِّلت له في التاريخ وهي:

(1) انظر: الكورانيّ، علي، تدوين القرآن، ط1، قم، دار القرآن الكريم، (لا،ت)، ص 369.
(2) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، المستدرك، ج1، ص 110.
(3) المصدر السابق نفسه.

1. منع لعن عليّ بن أبي طالب من على المنابر[1].
2. إرجاع فدك لأحفاد فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[2].
3. إلغاء منع تدوين السُنَّة النبويّة.

ولم يكتفِ بإلغاء المنع، بل دعا أحد علماء المدينة المعروفين وهو أبو بكر بن حزم، وطلب منه تدوين السُنَّة قائلاً: «**انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم...**»[3].

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «فأمّا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فإنه قال : كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرَّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن عليًّا، فَكَرِه ذلك ودخل المسجد، فتركتُ الصّبيان وجئتُ إليه لأدرس عليه وِردي، فلمّا رآني قام فصلّى وأطال في الصّلاة – شِبه المُعرِض عنّي – حتّى أحسستُ منه بذلك، فلمّا انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلتُ له : مابال الشيخ؟! فقال لي : يابنيّ، أنت اللاعن عليًّا منذ اليوم؟! قلت: نعم، قال: فمتى علمتَ أنّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم! فقلتُ: يا أبت، وهل كان عليٌّ من أهل بدر! فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلّها إلاّ له! فقلتُ: لا أعود. فقال: والله أنك لا تعود! قلتُ نعم. فلم ألعنه بعدها. ثمّ كنتُ أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة –وهو حينئذ أمير المدينة – فكنتُ أعجَبُ من ذلك، فقلت له يومًا: يا أبتِ، أنت أفصح النّاس وأخطبُهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن عييّا! فقال: يا بني، إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد فوَقَرَت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلّمي أيام صغرى، فأعطيتُ الله عهدًا، لئن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ لأغيّرنه، فلمّا منّ الله عليّ بالخلافة أسقطتُ ذلك، وجعلتُ مكانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، وكَتَب به إلى الآفاق فصارسُنّة». [ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي، ط4، طهران، بنيا دفرهنگ امام المهدي(عج)، (لا،ت)،ج4، ص 59].

(2) «فلما وليّ عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فدك إلى ولد فاطمة، رضي الله عنها، فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز» [الحموي، ياقوت، معجم البلدان،(لا،ط)،بيروت، دار إحياء التراث العربيّ،1399هـ ج4، ص 238].

(3) الموصلي، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، (لا،م)، دار المأمون للتراث، (لا،ت)، ج1، ص 7.

لكن يبدو أنّ هذا الإصرار من قبل عمر بن عبد العزيز لم يُحقِّق ما طلبه، فإنَّ ابن حزم لم يكتب شيئًا من الأحاديث المنقولة عن النبيّ ﷺ سوى صحائف غير منظَّمة، ولا مرتَّبة[1]، ولعلَّ قصر حُكمه الذي لم يتجاوز السنتين، وعزل خلفه يزيد بن عبد الملك له كان من العوامل لعدم تحقيق ذلك، إضافةً إلى الرواسب السّابقة الممتدَّة لعشرات السّنين.

وفي عام 105 هـ في عهد هشام بن الحكم جدَّ ابن شهاب الزهريّ المتوفَّى عام 124 هـ في تدوين الحديث، إلاّ أنّ تدوين السنّة لم يتوسّع، ولعلّ الأحداث الّلاحقة التي زعزعت الدّولة الأمويّة، لا سيّما بعد وفاة هشام عام 125هـ، أثّرت في ذلك. ويبدو من السيوطيّ أنّ تدوين السُنّة لم يكن بالجدِّية المطلوبة إلاّ في العام 143هـ في عهد أبي جعفر المنصور. وعن ذلك العام يقول السيوطي: «**شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج بمكّة، ومالك الموطَّأ بالمدينة، والأوزاعيّ بالشام، وابن أبي عروبة وحمّاد بن سلمة وغيرهما في البصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثّوري بالكوفة، وصنّف ابن إسحاق المغازي، وصنّف أبو حنيفة الفقه والرأي** – إلى أن قال: - **وقبل هذا العصر كان الأئمّة يتكلّمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتَّبة**»[2].

(1) ابن البراج، عبد العزيز، جواهر الفقه، تحقيق ابراهيم بهادري، ط1، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1411هـ ص 7.

(2) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق لجنة من الأدباء، (لا،ط)، بيروت، مطابع معتوق إخوان، (لا،ت)، ص284.

والخلاصة أن السُّنَّة النبويَّة لم تدوَّن من قبل علماء السّلطة[1] لعشرات السّنين، وخلال هذه المدّة الطّويلة كان يُعتمَد في نقلها على النّقل الشخصيّ، وأنّ الخروج العامّ عن هذه الحالة حصل بين عامي 101هـ و143هـ.

أحاديث كاذبة

لم يقتصر الأمر في تاريخ المسلمين على منع السلطة لتدوين السُّنَّة النبويّة لعشرات السّنين، بل أُضيف إلى ذلك ظهور آلاف الأحاديث الكاذبة المرويّة عن رسول الله ﷺ، وهذا ما أكّدته الكثير من المصادر الإسلاميّة، ونكتفي هنا بذكر ما قاله الشيخ الأزهريّ محمود أبو ريّة في كتابه أضواء على السُّنّة المحمّديّة: «**قال حمّاد بن زيد : وَضَعَت الزّنادقة على رسول الله اثني عشر ألف حديث. وقال المهديّ: أقرَّ عندي رجلٌ من الزّنادقة أنّه وضع 400 حديث، فهي تجول في أيدي النّاس. وأخرج ابن عساكر عن الرّشيد أنّه جيء إليه بزنديق فأمر بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين، أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتُها فيكم، أُحرِّم فيها الحلال وأُحلُّ فيها الحرام؟! ولمّا أخذ عبد الكريم بن أبي العوجاء بضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أُحرِّم فيها الحلال، وأُحلِّل الحرام. وقال إسحاق بن راهويه، وهو شيخ البخاريّ، : أَحفَظُ أربعة آلاف حديث**

(1) سيأتي أنّ هناك اتجاهًا معارضًا دوَّن السُّنّة النبويّة.

مزوّرة. وعن سهل ابن السّريّ الحافظ قال: وضع أحمد بن عبد الله الجويباريّ، ومحمّد بن عكاشة الكرمانيّ، ومحمّد بن تميم الفارابيّ على رسول الله أكثر من عشرة آلاف حديث. وقال البخاريّ: أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح. والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى، ومَن أراد أن يستزيد منها فليرجع إلى مظانّها، وبخاصّة كتاب تحذير الخواصّ للسيوطي»[1].

وقد ظهرت في مرحلة منع تدوين السُّنّة شخصيَّات تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، لا بدّ من الوقوف عندها، من قبيل الصحابيّ أبي هريرة الذي أسلم إبّانَ غزوة خيبر قبل ثلاث سنوات من وفاة رسول الله ﷺ. وعن إسلامه يروي البخاريّ ومسلم وغيرهما قوله: «**كنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني**».[2]

رغم قصر المدّة التي كان فيها هذا الرجل يرى رسول الله ﷺ (السنوات الثلاث الأخيرة)، ورغم عدم ملازمته لرسول الله ﷺ، فقد روى، وحده، عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف حديث[3]!!

---

(1) ابو ريّة، محمود، أضواء على السُّنّة المحمّدية، ط5، (لا،م)، البطحاء، (لا،ت)، ص 144.

(2) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1981م، ج3، ص 2 وص 74 وج8 ص 158./ النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت)، ج7، ص 166.

(3) راجع: أبو ريّة، محمود، أضواء على السُّنّة المحمّدية، ص201.

وفي تلك الفترة انتشرت في المجتمع الإسلاميّ أخبار عن كعب الأحبار ووهب بن منبّه وغيرهما من الشخصيّات التي كانت يهوديّة، ثمّ أعلنت إسلامها، وفُتحت لها المنابر لتبثّ أخبارًا إسرائيليّة في المجتمع الإسلاميّ.[1]

إنّ خطورة طول المدّة التي تمّ فيها تدوين السُّنَّة لم تقتصر على ضياع الكثير من الأقوال النبويّة، والخطأ والاشتباه في النقل، بل تعدّى ذلك إلى دخول أكاذيب ومدسوسات بعنوان السُّنّة النبويّة.

آثار ما جرى على السُّنّة النبويّة

كان لمنع تدوين السُّنَّة، وما واكب ذلك، آثارٌ خطيرة أقتصر منها على الآتي:

لقد كان من آثار منع تدوين السُّنّة اختفاء جملة كبيرة من الأحاديث عند العلماء في مسار السّلطة، بدءًا بالأحاديث الخمسماية التي أحرقها أبو بكر كما تقدّم، استمرارًا بإعراض العديد من الصحابة عن الرواية عن رسول الله ﷺ كما سبق، فضلاً عن تدوين السُّنَّة الذي كان يتعامل معه على أنّه من المحرَّمات.

وتقدّم أنّ الأمر لم يقتصر على ذلك، بل ممّا زاد الطين بلّة ظهور آلاف الأحاديث الكاذبة المرويّة عن رسول الله ﷺ ممّا أفقد ثقة العديد من العلماء الكبار بوجود السُّنّة الواقعيّة ممّا أنتج ظهور

---

(1) راجع: أبو ريّة، محمود، أضواء على السُّنّة المحمّدية، ص145 إلى 155.

مدارس فقهيّة وعقديّة لا تعتمد على السُّنّة النبويّة في كثير من طروحاتها، ومن تلك المدارس مدرسة أبي حنيفة النّعمان (ت 150هـ) الذي قام مذهبه على عدم ثقته بأكثر الروايات المتداولة في عصره، قال ابن خلدون: «**فأبو حنيفة، رضي الله تعالى عنه، يقال: بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها**»(1). وقد ألجأه هذا الأمر إلى الاعتماد على القياس حينما لا يجد نصًّا في مسألة ترد عليه، فيعطي موضوع المسألة حكمًا ورد في مسألة أخرى لمناسبة يُلاحظها الفقيه بين المسألتين، فيقيس الثانية على الأولى. والسبب في ما ذهب إليه أبو حنيفة هو نقصان الأحاديث النبويّة التي يثق بها، يقول الشيخ التهانويّ الحنفيّ: «**إنّ أبا حنيفة إنّما كثر القياس في مذهبه؛ لكونه في زمن قبل تدوين الحديث، ولو عاش حتى دوّنت الأحاديث الشريفة، وبعد رحيل الحفّاظ في جمعها من البلاد والثّغور، وظفر بها، لأخذ بها، وترك كلّ قياسٍ كان قاسه**»(2).

ويشير التهانويّ الحنفيّ إلى ما جُمّع من أحاديث في كتب دُوِّنت في مرحلة لاحقة، أهمّها الصحاح السِّتَّة المعتمدة بجميع ما تتضمّن من أحاديث عند جمهور أهل السُّنّة، وهي:

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت)، ج1، ص444.

(2) التهانوي الحنفيّ، قواعد في علوم الحديث ص 454 (نقلاً عن الجلالي، محمد رضا، تدوين السُّنّة الشريفة، ط1، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، 1413هـ ص 489.

1. صحيح البخاريّ (ت 256 هـ).

2. صحيح مسلم (ت 261هـ).

3. سنن أبي داود (ت 275هـ).

4. سنن الترمذيّ (ت 279هـ).

5. سنن النسائيّ (ت 303 هـ).

6. سنن ابن ماجة (ت 275هـ).

وهذه الكتب، رغم تأخّرها، كما يظهر من تاريخ وَفَيات مؤلِّفيها، ورغم ما سبقها من انقطاع تدوين السُّنة، ومحاولات تقليل نشرها، وظهور عشرات آلاف من الأحاديث الكاذبة، وانقطاع «**العصمة**» (أي وجود المعصوم الحافظ) بينها وبين الرسول محمّد ﷺ، رغم كلّ ذلك اعتبر كبارُ علماء أهل السُّنّة أنّها في الموقع الأوّل في حجيّتها واعتبارها بعد القرآن الكريم. وفي هذا الإطار يُنقل عن فضل بن روزبهان أنّه قال في الصحاح السّتّة: «**وقع إجماع الأئمّة على صحّتها**»[1]. وأنّه قال: «**لو أنّ أحدًا حلف يمينًا بأنّ كلّ ما ورد في الصّحاح السّتّة من الأحاديث، فهو صحيح، وهو قول رسول الله ﷺ، لكان يمينه صحيحًا ولا عليه الحنث**»[2].

(1) المظفر، محمد، دلائل الصدق لنهج الحق، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، دمشق، (لا،ط)، ص 67.

(2) النجمي، محمد صادق، أضواء على الصحيحين، ترجمة يحيى البحراني، ط1، قم، مؤسسة المعارف الاسلامية، 1419هـ ص 73.

ويقع صحيحا البخاريّ ومسلم في مقدّمة الصّحاح السّتّة، فهما، بتعبير النوويّ، يليان القرآن الكريم في الصّحّة باتفاق العلماء، قال: «**اتّفق العلماء، رحمهم الله، على أنّ أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصّحيحان البخاريّ ومسلم، وتلقّتْهما الأمّة بالقبول**»[1].

وبغضّ النظر عن النّقاش في ما تقدّم، وعن الاعتماد على هذا الكم الكبير من الأحاديث التي ظهرت في العصور اللّاحقة لأبي حنيفة، إلاّ أنّ ما ذهب إليه أبو حنيفة من القول بالقياس بسبب فقدان النصوص المعتبرة بقي قويًّا في استدلال الفقهاء على الأحكام الشرعيّة، بل تعدّى الأمر من القياس عند فقدان الشبيه إلى مدرك آخر منطلقٍ أيضًا من فقدان النصّ النبويّ المعتبر، وهو ما يصطلح عليه بـ«**الاستحسان**» الذي كان قد ذهب إليه إضافةً إلى أبي حنيفة[2]، مالك بن أنس (ت 179هـ) إمام المذهب المالكي الذي اشتهر قوله: «**الاستحسان تسعة أعشار العلم**»[3]، رغم أنّه كان محاربًا للاجتهاد بحسب الرأي، فهو يقول: «**ينبغي أن نتّبع آثار رسول الله ﷺ، ولا نتّبع الرأي؛ فإنّه متى نتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك، فاتّبعته، فأنت كلّما جاء رجل غلبك، اتّبعته، أرى هذا لا يتمّ**»[4].

---

(1) النووي، يحيى، شرح صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، 1987م، ج1، ص 14.

(2) الغزالي، أبو حامد، المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م، ص 173.

(3) الشاطبي الغرناطي، إبراهيم، الاعتصام، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا،ت)، ج1، ص 78.

(4) المصدر السابق نفسه.

رغم هذا التصريح من مالك، فقد أكّد على حجّيَّة ودليليّة الاستحسان الذي عُرِّف بأنّه «**ما حسَّنه المجتهد بعقله**»[1]، وبأنّه «**دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه**»[2]. إلى غيرها من التعاريف[3]. والاستحسان كالقياس بقي قويًّا في استدلال الفقهاء والاعتماد عليه، بعد ظهور الأحاديث التي اعتُبرت صحيحة السند.

وجاء الشافعيّ (ت 204هـ) بعد ذلك ليعمل بالقياس، ويحارب الاستحسان مُطلِقًا شعاره: «**من استحسن شرَّع**»[4]، وهي حرب إمّا على أصل الاستحسان، أو على بعض موارده التي لا يراه حجّة فيها.

ولا يخفى أنّ القول بالقياس أو بالاستحسان أو بما شابههما، ممّا لا ضابطة موضوعيّة له، يؤدِّي إلى تباعد آراء الفقهاء. وحصول التباين في الفتاوى، وهذا ما حصل فعلاً حيث تعدّدت المذاهب الفقهيّة المختلفة في مبانيها ونتائجها، والتي زاد من اختلافها ظهور فقيه جديد في زمن انتشار الأحاديث المشار إليها سابقًا وهو أحمد بن حنبل (ت 241هـ) الذي كان، بحسب تعبير ابن القيّم الجوزيّة: «**إذا**

(1) المصدر السابق، ج2، ص 369.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) انظر: الحكيم، محمد تقي، أصول الفقه المقارن، ط2، قم، مؤسسة آل البيت، 1979م، ص 362.

(4) الغزالي، أبو حامد، المستصفى، ص 173.

وجد النصّ أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا مَنْ خالفه كائناً من كان... ولم يكن يُقدِّم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً، ولا قول صاحب، ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسمّيه كثير من الناس اجماعاً، ويقدّمونه على الحديث الصحيح»[1]، وكان ابن حنبل يقول بالقياس عند الضرورة فقط[2].

ولم يقتصر أمر الاختلاف على هؤلاء الفقهاء الأربعة فقط، بل انتشر الخلاف بين الفقهاء، للأسباب المتقدّمة، بشكل واسع جدًا إلى أن جاء الظاهر بيبرس البندقداري عام 665هـ، حيث حصر المذاهب الفقهيّة بالفقهاء الأربعة المتقدّمين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعيّ، وابن حنبل.

قال المقريزيّ: **«وَلِي بمصر القاهرة أربعة قضاة، وهم شافعيّ، ومالكيّ، وحنفيّ، وحنبليّ؛ فاستمرّ ذلك من سنة خمس وستّين وستّ مئة، حتى لم يبقَ في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعريّ، وعُمِلت لأهلها المدارس، والخوانك، والزوايا، والربط في سائر ممالك الإسلام، وعُودِيَ من تمذهب بغيرها، وأُنكِر عليه، ولم يُولَّ قاضياً، ولا قُبلت شهادة أحد، ولا قُدِّم للخطابة، والإمامة، والتدريس أحدٌ ما لم**

(1) الجوزية، ابن القيم، اعلام الموقعين عن رب العالمين، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ص 17.
(2) انظر المصدر السابق نفسه.

يكن مقلِّدًا لأحد هذه المذاهب. وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدّة بوجوب اتّباع هذه المذاهب، وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم»[1].

الاختلاف العقديّ

إنّ ما تقدّم كان يدور حول موقع السُّنّة النبويّة في دائرة الفقه والأحكام الشرعيّة، إلاّ أنّ هناك اختلافًا واسعًا حصل في الأمور العقديَّة الذي كان ما جرى على السُّنّة النبويّة من أسبابه الرئيسيّة، إضافةً إلى تداعيات عصر الترجمات التي طرأت على المجتمع الإسلاميّ[2]، ولعلّ من أبرز المذاهب العقائديّة التي ظهرت في ذلك التاريخ مذهب المعتزلة الذي أسّسه واصل بن عطاء (ت 131هـ) الذي كان تلميذًا للعالم المعروف في علم الحديث الحسن البصريّ (ت 110هـ). وقد اختلف معه في بعض القضايا العقديَّة ممّا أدّى إلى اعتزاله وترك مجلس درس البصريّ، وبالتالي تأسيسه لمذهب المعتزلة الذي قيل: إنّه سُمِّي بذلك بسبب اعتزاله أستاذه البصريّ[3]. وبسبب غياب الأحاديث النبويّة المعتبرة قام مذهب الاعتزال على الاعتماد على

---

(1) المقريزيّ، أحمد، الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط1، مصر، مؤسسة الفرقان، 2005م، ج2، ص 334.

(2) انظر: شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ص 14-18.

(3) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد كيلاني، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)، ج1، ص 52.

العقل بشكل واسع يظهر من تعليقٍ على حديث نبويٍّ صدر (أي التعليق) عن الرجل المعتزليّ الثاني بعد واصل بن عطاء، وهو عمرو بن عبيد (ت 144هـ) يقول فيه: «**...لو سمعتُ رسول الله يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا، لقلت له: ليس على هذا أخذتَ ميثاقنا**»[1].

وفي زمن هارون الرشيد، وهو زمن اشتهار وانتشار المذهب المعتزليّ، أعلن المعتزلة عقيدتهم بأنّ القرآن مخلوق حادث، وليس قديمًا، أي أنّه لم يكن موجودًا منذ الأزل، بل كان معدومًا خلقه الله من العدم، وقد تبنّى المأمون بن هارون عقيدة المعتزلة بخلق القرآن، وتعصّب لذلك[2]. وهكذا كان حال من جاء بعده من الحكام[3]، إلى أن ظهر أحمد ابن حنبل (ت241هـ) الذي قال بقدم القرآن منذ الأزل، وأنّه ليس حادثًا مخلوقًا، وشنَّ حملةً قاسيةً على من قال بخلق القرآن وحدوثه، مكفِّرًا كلّ من أعلن عقيدة خلق القرآن، قائلاً: «**من قال: إنه [أي القرآن]، مخلوق، فهو عندنا كافر**»[4]، وقال: «**الدار إذا**

(1) الخطيب البغدادي، أحمد، تاريخ بغداد، ج2، ص 170.

(2) انظر: ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1415هـ ج 33، ص 440.

(3) انظر: الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ج8، ص 62./ الذهبي، محمد، تاريخ الاسلام، تحقيق عمر تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ ج17، ص 6/ ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)، ج2، ص 305.

(4) الأشعري، علي، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقيّة محمود، ط1، القاهرة، دار الأنصار، 1397هـ ص 90.

ظهر فيها القول بخلق القرآن، والقدر، وما يجري مجرى ذلك، فهي دار كفر»[1].

وبسبب هذا الاختلاف بين المعتزلة من جهة وأحمد بن حنبل والتابعين له من جهة أخرى، حدثت محنةٌ وفتنةٌ عمياء في المجتمع الاسلاميّ، وأريقت بسبب ذلك الدماء واضطُهد الكثيرون، وازدُرِيَ بالعلماء، ومنهم من ضُرب وحُبس كأحمد بن حنبل[2]، ومنهم من مات مكبّلاً بالحديد في سجنه[3]. وتغيّر موقف السّلطة بعد حين، وأضحى يُنادى باللعن على من قال بخلق القرآن، ويصيح النّاس بلعنه[4].

وبقيت المحنة والفتنة بين الفريقين المختلفين اللّذَيْن لم يقتصر خلافهما على مسألة خلق القرآن، بل جرى في مسائل عقديّة أخرى تنطلق من علاقة العقل بالأحاديث النبويّة، إلى أن حدث أمر غيَّر الاتجاه العقديّ العامّ للشّريحة الأوسع من المسلمين، فقد ظهر أبو الحسن الاشعريّ (ت 324هـ)[5] الذي كان معتزليًا مُدّة أربعين عامًا،

(1) ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، ج2، ص 305.

(2) العجليّ، أحمد، معرفة الثقات، ط1، المدينة المنوّرة، مكتبة الدار، 1405هـ ج1، ص 22.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) انظر: الذهبيّ، محمد، تذكرة الحفّاظ، ج2، ص 733. (للتوسّع في الموضوع، انظر: بركات، أكرم، التكفير ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، ط4، بيروت، دار السّراج، 2017، ص397 - 399)

(5) وقيل: كانت وفاته عام 330، وقيل: إنّه توفي بعد ذلك بنيِّفٍ من السنين [أنظر :ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق حسان عباس، لبنان، دار الثقافة، (لا،ت)، ج3، ص 285.

وفجأة، وبعد غياب خمسة عشر يومًا أعلن أمام النّاس عزوفه عن اعتقاده السّابق، وتبنّيه مذهبًا عقديًّا جديدًا ينزِّل العقل عن مكانته المعتزليّة، ويتبنّى النصّ حتى في حال مخالفته للعقل، وقد انتشر فكر الأشعريّ، ونال حظًّا من رضا الحكّام، حتى انتشر وشاع صيته وسمّي بالمذهب الأشعريّ، وسُمّي أتباعه بالأشاعرة[1].

ورغم بروز اتجاه عقديّ مغاير لعقيدة الأشعريّ في عصره من قبل أبي منصور الماتريدي (ت333هـ)، إلاّ أنّ المذهب الأشعريّ أخذ رواجًا أوسع في جمهور أهل السُّنّة، وبرز في الأشاعرة علماء كبار قام كلٌّ منهم بإلقاء صبغته الفكريّة على هذا المذهب، ممّا أدّى إلى تغيير في مبانيه، لا سيّما في ما يخصّ النظرة إلى العقل، كأبي بكر الباقلاني (ت 403هـ)، وأبي محمد الجوينيّ المعروف بإمام الحرمين (ت 438هـ)، وأبي حامد الغزاليّ (ت 505هـ) وأبي الفتح الشهرستانيّ (ت 548هـ)، والفخر الرازيّ (ت 606هـ) الذي يتعجّب قارئه من كونه من علماء الأشاعرة رغم المنحى العقليّ الكبير الذي عُرف به، بل إنّ المطّلع على المسار الزمنيّ للأشاعرة يُلاحظ أنّهم كانوا، كلّما مرَّ الزَّمن، يزداد مستوى اعتمادهم على العقل في عقيدتهم، وهذا لم يرضِ أحد العلماء الذين برزوا في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، وهو ابن تيميّة (661- 729هـ) الذي استنكر التوسّع في

---

(1) انظر: الدمشقيّ، ابن عساكر، تبين كذب المفتري، تحقيق محمد الكوثري، مصر، المكتبة الازهرية، (لا،ت)، ص 39.

الاعتماد على العقل، ودعا إلى الرجوع إلى السّلف المتمثّل بأحمد بن حنبل الذي عُرف بتشدّده في الاعتماد على الأحاديث، ورفضه للعقل. وإنْ تجاوزنا ترويج فكر ابن تيميّة عبر تلميذه ابن قيِّم الجوزيّة (ت 751هـ)، فإنّ فكر ابن تيميّة خمد، إلى أن ظهر محمّد بن عبد وهاب (1115هـ- 1206هـ) وأسَّس المذهب الوهابيّ المعروف، متبنّيًا عقيدة وفكر ابن تيميّة ومعتمدًا عليه.

لقد أردنا من العرض السابق بيان آثار ونتائج ما جرى على السُّنّة النبويّة من منع تدوين، وتقليل انتشار، وظهور عشرات الآلاف من الأحاديث الكاذبة، ممّا أثّر في ظهور المذاهب الفقهيّة والعقديّة التي ذكرنا قسمًا منها. فبعد كلّ ما تقدّم هل نجد الجواب الشافي الموضوعيّ عن السؤال السابق: أين هي السُّنّة؟!!

المرفأ الخامس

أين هو مُكمِّل الرسالة عند الشيعة؟

تمهيد

أكّدت مدرسة أهل البيت التي يرأسها عليّ بن أبي طالب وأبناؤه الأحد عشر أنّ كمال الدّين الإسلاميّ، على مستوى الأطروحة النصيّة، متحقّق في عنصرين لا ثالث لهما، وهما القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وهذا ما عبَّرت عنه أحاديث عديدة، منها: ما ورد عن جعفر ابن محمّد الصادق: «**مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وفِيه كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ**»[1]، ومنها: ما ورد عن ولده موسى بن جعفر الكاظم حينما سُئل: «**أَكُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه أَوْ تَقُولُونَ فِيه؟ قَالَ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه**»[2].

قراءة العقل الشيعيّ لمصير السُّنَّة النبويّة

على أساس هذه القاعدة، وللوصول إلى جواب السؤال السابق: أين هي السُنّة النبويّة؟ أطرح السؤال الآتي:

(1) الكليني، محمد، الكافي، ج1، ص59.

(2) المصدر السابق، ج1، ص62.

هل استطاع النبيّ محمّدﷺأن يبلِّغ جميع تفاصيل الشّريعة للنّاس؟

والجواب نجده في الطرح الآتي: إنّ إلقاء نظرة فاحصة على مرحلة تبليغ هذه السّنَّة الشّريفة يوقفنا أمام أمر مهمٍّ جدّاً، فمرحلة تبليغ السنّة النبويّة دامت ثلاثاً وعشرين سنة، قضى منها النبيُّ محمّد ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكّة، وعشرَ سنوات في المدينة المنوّرة.

أمّا في السنوات المكّيَّة الثلاثَ عَشْرَة فلم يؤمن بالنبيّ محمّد ﷺ إلاّ عددٌ قليلٌ لم يتجاوز أربعمائة مسلم على الأكثر، وكان أغلبهم من المستضعفين المضطهدَين؛ ممَّا أدّى إلى هجرة الكثير منهم (70 عائلة) إلى الحبشة مرّتين، وبالتالي انفصالهم المباشر عن تلقّي الدعوة الإسلاميّة من النبيّ محمّدﷺ. وفي هذه السنوات المكّيَّة، كان المشركون يضيِّقون على النبيّﷺ والمسلمين الباقين معه تضييقًا شديدًا، ويمنعونه من تبليغ دعوته للآخرين، حتّى وصل الأمر بهم إلى محاصرته مع جملة من الهاشميّين في شِعْبِ أبي طالب ثلاث سنوات، حيث كانت المجاعة الشديدة.

إنّ الناظر في هذا المرحلة المكّيَّة يُدرك بوضوح أنّ الفرصة لم تسنح للنبيّﷺ إلاّ تبليغ أساسيّات الاعتقادات، والبعض القليل من جوانب الشريعة، وهذا ظاهر من خلال الآيات القرآنيّة النازلة في مكّة. وممّا

يؤكّد هذا الواقع أنّ فريضة الصّوم، وهي من أوائل فروع الدين، لم تنزل في مكّة، بل في المدينة.

وانتهت هذه السنوات المكّيَّة بهجرة النبيّ ﷺ إلى يثرب ليقضي فيها عشر سنوات كانت مليئة بالحروب والغزوات وما شابه، إضافة إلى الخلافات التي حصلت بين القبائل داخل المجتمع الإسلاميّ الجديد. وقد سجّل التاريخ في الفترة المدنيّة النبويّة وقوع أكثر من سبعين غزوة وسريّة.[1]

ومن الواضح أنّ هذه الغزوات والسّرايا، إضافةً إلى ما ساهم به المنافقون واليهود، شكّلت معوّقات أمام تبليغ تفاصيل الشريعة الإسلاميّة، والسّنّة النبويّة لجميع المسلمين.

قال الشيخ مرتضى المطهّري: «**إذا أردنا أن نغضَّ النظر عن الواقع الكائن في مكّة والمدينة، ونفترض أنّ رسول الله ﷺ سلك في هذه السنوات الثلاث والعشرين من البعثة نهج المعلِّم، الذي لا شأن له إلاَّ الذهاب إلى الصفّ وتعليم الناس، فمع ذلك لم يكن هذا الوقت وافيًا كي يُبيِّن النبيّ ﷺ للناس جميع ما ينطوي عليه الإسلام** «[2].

إذاً لا بدَّ من حلٍّ يتسنَّى من خلاله للنبيّ ﷺ أن يبلِّغ، ويحفظ سنَّته الشريفة، التي تمثّل مع القرآن الكريم توأم التشريع الكامل. ولا

---

(1) انظر: الحسنيّ، هاشم معروف، سيرة المصطفى، (لا،ط)، بيروت، دار التعارف، 1986م، ص306.
(2) المطهّري، مرتضى، الإمامة، ترجمة كسّار، ط1، قم، أمّ القرى، 1417هـ، ص 77.

بدّ في هذا الحلّ أن يكون فيه ضمانة التبليغ الصحيح للسُّنّة النبويّة، وهو ما يستوجب مسبَّقاً التلقّي الصحيح لها. وبعبارة أخرى لا بدّ أن يكون حافظ السنّة ومبلّغها مضموناً من ناحية عدم الخطأ في فهم السنّة وتبليغها، فضلاً عن عدم تعمّد بيان خلافها، أي أنْ يكون معصوماً في ذلك.

وهذا الأمر يفتح الباب أمام البحث عن شخص استثنائيّ ذي مواصفات عالية، وبما أنّ من صفاته العصمة فلا بدّ أن يكون اختياره إلهيّاً ينطلق من دور هذه الشخصيّة في تحقيق الهدف الإلهيّ الذي يتحقّق من خلال اتّباع الرسالة الإسلاميّة. وفي حال لم يتمّ تبليغ كامل الرسالة من قِبل هذا الشخص، فلا بدّ من وجود أشخاص يحملون تلك المواصفات الفريدة لتحقيق ذلك الهدف.

إنّ ما تقدّم يُمثّل خلفيّة طرح المسلمين الشيعة لاعتقادهم بالإمامة.

الإمامة لا تقتصر على حفظ السّنّة النبويّة

لا تقتصر الإمامة في الطرح الشيعيّ، على المعنى المتقدّم، وهو كون الإمام يُمثّل المرجعيّة الدّينيّة التي تحفظ السّنّة النبويّة وتبلّغها، إضافةً إلى العلم بحقائق القرآن الكريم، بل تشمل الإمامةُ بحسب طرح الشيعة موقعًا آخر مرتبطاً بتحقيق التكامل الاجتماعيّ الذي يستهدفه الإسلام، والذي لا يتحقّق من خلال الأطروحة النظريّة

المتمثّلة بالكتاب والسّنّة فقط، بل لا بدّ لتحقيقه من هادٍ ووليٍّ يقوده نحو تكامله ورقيّه، فترك المجتمع بدون إرشاد إلى القائد، ولو من خلال بيان المواصفات المطلوبة فيه، مخالفٌ للحكمة.

ومن ظريف ما يُعبّر عن هذه الفكرة ما نقله هشام بن الحكم (أحد أصحاب جعفر الصادق) الذي قال: «**توجّهت إلى البصرة، فوصلت إليها يوم الجمعة، وأتيت إلى المسجد، فرأيت أنّ عمرو بن عبيد لبس شملة من الصوف الأسود، وشملة أخرى جعلها رداءً له، وصفٌّ في دوره جمعٌ يسألون منه المسائل العلميّة، فانفتحت الصفوف، وجلست أمامه مؤدّبًا، فسألت منه: أيّها العالم، أنا رجل غريب، أتأذن لي أن أسأل مسألة، فقال: نعم، فسألت: هل لك عين؟ فقال: يا بنيّ، أيّ سؤال هذا يسأل منّي؟ قلت: إنّ مسألتي هذه. ثمّ قال: اسأل، وإن كانت مسألتك مسألة الحُمَقَاء. فقلت: أجبني عن ذلك السؤال. فقال: نعم، لي عين. فقلت: أيَّ شيء بها تراه؟ قال: الألوان والأشخاص. ثمّ سألت: هل لك أنف؟ قال: نعم، فقلت: أيَّ شيء تعمل به؟ فقال: نستشمُّ الرائحة به. ثمّ سألت: هل لك فم؟ قال: نعم، فقلت: أيَّ شيء تعمل به؟ قال: ذقت به طعم الأغذية. ثمّ سألت: هل لك قلب [أي عقل]؟ قال: نعم. قلت: أيَّ شيء تعمل به؟ قال: تميَّزت به كلّما يرود على الأعضاء المذكورة. فقلت: إنّ هذه الأعضاء بريئة غير محتاجة إليه أم لا؟ فقال: لا. فقلت له: كيف تحتاج هذه الأعضاء إلى القلب؟ مع أنّ لها قوى مدركة حاسّة للذّوق**

والشمّ والبصر، وتكون صحيحة سليمة. فقال: يا بنيّ، لو حصل لي شكّ فيما بصرت وذقت وشممت رجعت إلى القلب، فيحصل لي اليقين، ويرتفع ويزول الشكّ. فقلتُ: فإذًا قلتَ: إنّ الباري تعالى خلق القلب لتميّز شكّ الجوارح للخلق؟ فقال: نعم. فقلت: لا جرم فوجود القلب لازم لرفع شبهة الجوارح؟ فقال: نعم. فقلت: إنّكم تزعمون أنّ الله تعالى لم يُخلِ هذه الجوارح من إمام ترجع إليه لتميّز الشكّ واليقين والصّحيح والسّقيم منها، فكيف يمكن أن يخلي الخلائق الكثيرة من إمام يرجعون إليه عند الحيرة والشكّ؟ فسكت وصار متأمِّلاً، ثمّ بعد لحظة ارتفع رأسه، والتفت إليّ، وقال: هل أنت هشام بن الحكم؟...»[1].

وعودًا على بدء، فإنَّ الوصول إلى الهدف الإسلاميّ في التكامل الاجتماعيّ بحسب الطرح الشيعيّ، يحتاج إلى حاكم له مواصفات تتعلّق بأمور، أهمّها أن يكون:

1. عالماً بالتّشريع الإسلاميّ حتّى يحكم في ضوئه.
2. مؤتمنًا على تطبيق التشريع في حياة الناس.
3. كُفْءًا بالأمور التي تقتضيها الحكومة، كمهارة الإدارة، والسّياسة، والمعرفة الاقتصاديّة، والاجتماعيّة ونحو ذلك.

وسيرة العقلاء وبناؤهم، في حال توفّرت هذه الشروط بحدّها

(1) البروجردي، علي، طرائف المقال، تحقيق مهدي الرجائي، ط1، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1410هـ،ج2،ص562-563.

الأدنى عند أشخاص عديدين، أن يتوجّه إلى أكملهم فيها، فالقائد هو أكمل المجتمع في مواصفات القيادة الاجتماعيّة.

والخلاصة، أنّ مدرسة أهل البيت طرحت ضرورة وجود إمام بعد رحيل رسول الله محمّد ﷺ، ويكون لهذا الإمام موقعان: الأول يتعلّق بالمرجعيّة الدّينيّة، والثاني بالقيادة الاجتماعيّة.

والأوّل كما تقدّم، لا بدّ أن يكون باختيار الله عزّ وجلّ للمواصفات الخاصّة الضروريّة في وصول التشريع الإسلاميّ الصحيح إلى المجتمع. أمّا الثاني، وإن لم يدلّ العقل على ضرورة تعيينه الخاصّ من قبل الله عزّ وجلّ، بل دلّ على كونه الأكمل في صفات القيادة، إلّا أنّ وجود الأكمل الذي عيّنه الله لمنصب المرجعيّة الدينيّة يحتّم أن يكون هو صاحب الموقعين، المرجعية الدينيّة والقيادة الاجتماعيّة.

وما ذكرته يُمثّل خلفيّة القراءة الشيعيّة والاستدلال الإماميّ للنصوص الواردة في تعيين الأئمة الإثني عشر بدءًا من عليّ بن أبي طالب، وانتهاءً بحفيده محمّد بن الحسن المهديّ.

مصير السُّنَّة النبويّة في أحاديث النبيّ ﷺ عند الشيعة

حديث الثقلين

استدلّ الشيعة على الإمامة التي طرحوها بآيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة كثيرة، أبتدئها بحديث الثقلين المتواتر عند المسلمين كافّة، والذي قال فيه رسول الله محمّد ﷺ: «**إنّي تارك فيكم الثّقلَيْن كتاب**

الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، روى هذا الحديث الحاكم، وعلَّق عليه قائلاً: «**هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين**»(1).

حديث الخلفاء الإثني عشر

اللّافت في الطرح الشيعيّ الإماميّ الإثني عشريّ، أنّه متوافق مع أحاديث نبويّة معتبرة عند أهل السّنّة، رووها في صحاحهم وغيرها تُفيد أنّ خلفاء النبيّ ﷺ إثنا عشر خليفة، وإليك نماذج من هذه الأحاديث:

1. ما رواه البخاريّ في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**يكون اثنا عشر أميراً**»، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنّه قال: «**كلّهم من قريش**».(2)
2. ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**لا يزال أمر النّاس ماضياً ما وَلِيَهم اثنا عشر رجلاً...** (إلى أن قال): **كلّهم من قريش**».(3) وفي نقلٍ آخر عن جابر بن سمرة قال: دخلتُ مع أبي على النبيّ ﷺ، فسمعتُه يقول: «**إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**» قال: ثمّ

(1) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، المستدرك، ج3، ص 148، انظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج4، ص 371. انظر: الطبري، محمّد، المسترشد، تحقيق أحمد المحمودي، ط1، قم، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلامية، 1415هـ ص 560، انظر: كتاب «حديث الثقلين» الذي طبع في القاهرة من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد جمع فيه أسانيد هذا الحديث في كتب أهل السنَّة.

(2) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، ج8، ص127.

(3) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج6، ص3.

تكلّم بكلام خَفِي عليّ، قال: فقلت لأبي ما قال؟ قال: «**كلّهم من قريش**».[1]

3. ما رواه الترمذيّ في سُنَنه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون من بعدي اثنا عشر أميراً**»، قال: ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألتُ الذي يليني، فقال: قال: «**كلّهم من قريش**»، ثمّ عقّب الترمذيّ: «**هذا حديث حسن**».[2]

4. ما رواه أبو داود في سُنَنه عن جابر بن سمرة، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «**لا يزال هذا الدّين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال : فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيّة، قلت لأبي : يا أبة، ما قال؟ قال : كلّهم من قريش**».[3]

5. ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بعدّة صيغ هي:

5.1 قال رسول الله ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**»[4].

5.2 عن جابر أنّه سمع رسول الله ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر أميراً، ثمَّ لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألتُ القوم كلَّهم، فقالوا قال: كلّهم من قريش**».[5]

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) الترمذيّ، محمّد، سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، بيروت، دار الفكر، 1983م، ج3، ص340.

(3) السجستاني، سليمان، ابو داود، سنن ابي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط1، بيروت، دار الفكر، 1990م، ج2، ص309.

(4) ابن حنبل، احمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت)، ج5، ص92.

(5) المصدر السابق نفسه.

5.3 عن جابر بن سمرة قال :خطبنا رسول الله ﷺ بعرفات فقال: **«لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه حتّى يملك اثنا عشر كلّهم »**، قال: فلم أفهم ما بعد، قال: فقلت لأبي: ما قال بعدما قال كلّهم؟ قال: «**كلّهم من قريش**».[1]

من هم هؤلاء الخلفاء الإثنا عشر؟

من يطالع ما آلت إليه الأمور بعد وفاة رسول الله ﷺ من الصّحابة الأوائل إلى حكم الأمويّين إلى حكم العباسيّين إلى ما بعدهم، فإنّه لن يجد فيهم اثني عشر حاكمًا يصحّ تخصيصهم بالأوصاف التي وردت في تلك الرّوايات، ومن يقرأ محاولات البعض تحديد الحكّام الاثني عشر، فإنّه يتفاجأ.

تصوّر أنّ أحدهم عدَّ خلفاء رسول الله الاثني عشر بـ:

«...1- يزيد بن معاوية، ثمّ 2- ابنه معاوية بن يزيد - ولا يذكر ابن الزبير؛ لكونه معدودًا في الصحابة، ولا مروان بن الحكم؛ لكونه بويع له بعد بيعة ابن الزبير، وكان ابن الزبير أولى منه، فكان هو في مقام غاصب 3- ثمّ عبد الملك، 4- ثمّ الوليد، 5- ثمّ سليمان، 6- ثمّ عمر بن عبد العزيز، 7- ثمّ يزيد بن عبد الملك، 8- ثمّ هشام بن عبد الملك، 9- ثمّ الوليد بن يزيد، 10- ثمّ يزيد بن الوليد بن عبد الملك، 11- ثمّ إبراهيم ابن الوليد، 12- ثمّ مروان بن محمّد، فهؤلاء اثنا عشر: [2].

(1) المصدر السابق نفسه، ص93.

(2) ابن الجوزيّ، عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصّحيحين، تحقيق عليّ حسن البواب، ط1، الرياض، دار الوطن، (لا،ت)، ج1، ص 450.

فهؤلاء عند هذا العادّ هم الذين يكون الدين معهم عزيزًا منيعًا! أوّلهم يزيد بن معاوية الذي قتل الحسين بن عليّ سبط الرسول ﷺ في السنة الأولى، وأباح المدينة المنوّرة في السّنة الثانية، وهدم الكعبة الشريفة في السّنة الثالثة.

ومن لا يعرف من هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فليقرأ التاريخ ليعرف أنّه الذي فتح المصحف ذات يوم، فقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[1]، فدعا بالمصحف، فنصبَه غرضًا للنشّاب، وأقبل يرميه، وهو يقول:

تـهـدّدني بـجـبّـار عنيـد   فها أنـا ذاك جبار عنيـد
إذا ما جئت ربّك يوم حشر   فقل يا ربّ مزّقني الوليد[1]

وهو القائل، بحسب نقل محمّد بن يزيد المبرّد النحويّ:

تلعّب بالخلافة هاشميٌّ   بـلا وحـيٍ أتـاه ولا كتابِ
فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابـي[1]

إنّ انحصار وجود الخلفاء الإثني عشر الذين تنطبق عليهم أحاديث النبيّ ﷺ بما طرحته الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة يفتح

(1) سورة ابراهيم، الآيتان: 15-16.
(1) ابن الأثير، محمد، الكامل في التاريخ، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، 1386هـ ج5، ص 290.
(1) المسعوديّ، عليّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، قم، منشورات دار الهجرة، 1404هـ ج3، ص 216.

المجال لإلقاء الضوء أكثر على طرحهم العقائديّ المبيِّن للوعاء الإنسانيّ الحافظ المبلِّغ للسّنّة النبويّة. التي أكّد أئمّة الشيعة الإثنا عشر أنّها مدوّنة في كتابٍ يتوارثونه يسمّى «**الجامعة**»، فعن أبي بصير، وهو من أصحاب جعفر ابن محمّد الصادق أنّه قال:

«**دخلت على أبي عبد الله [أي جعفر الصادق]، فقلت له: جُعِلْتُ فداك، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله علّم عليًّا بابًا يفتح له منه ألف باب قال: يا أبا محمّد، علّم رسول الله عليًّا ألف باب يفتح من كلِّ باب ألف باب، قال [أبو بصير] : هذا والله العلم، قال: يا أبا محمّد، وإنّ عندنا الجامعة، وما يُدريهم ما الجامعة؟ قال [أبو بصير] جُعلتُ فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله وإملائه من فلق فيه، وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش**»[1].

وأيضاً رُوي عن جعفر بن محمّد الصادق أنّه قال: «**ضلّ علم ابن شبرمة [2] عند الجامعة، إملاء رسول الله وخطّ عليّ بيده، إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلامًا، فيها علم الحلال والحرام، إنّ أصحاب**

(1) الكليني، محمّد، الكافي، ج1، ص 239.

(2) هو عبد الله بن شبرمة الكوفي من فقهاء أهل السُنَّة، كان قاضيًا للمنصور على سواد الكوفة (الحليّ، ابن داود، رجال بن داود، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم، (لا،ط)، النجف، مطبعة الحيدرية، 1972م، ص 19 و120).

القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزدادوا من الحقّ إلاّ بُعدًا، إنّ دين الله لا يُصاب بالقياس»[1].

وفي بعض الأحاديث ما يؤكّد أنّ كتاب الجامعة هو إحدى علامات الإمامة، فعن عليّ بن موسى الرضا (الإمام الثامن للشيعة): «**للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس... ويكون عنده الجامعة، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعًا، فيها جميع ما يحتاج إليه وُلد آدم»**[2].

إمامة عليّ والحسن والحسين في القرآن والسُّنَّة

إنّ ما قدّمته كان يتعلّق بالأئمّة الإثني عشر بعنوانهم العامّ، إمّا بهذا التوصيف العدديّ، وإمّا بعنوان العترة. وهنا أُكمل ما طَرَحَته المدرسة الشيعيّة الإماميّة بعناوين أخصّ، كالعنوان المختصّ بعليّ بن أبي طالب، أو العنوان الذي يشمله مع ولديه الحسن والحسين، أو بالعنوان الذي يختصّ بهذين الإمامين، وأنتهي بعد ذلك بالعنوان الذي يسمّي جميع الأئمة الإثني عشر بأسمائهم.

---

(1) الكليني، محمّد، الكافي، ج1، ص 57.

(2) الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاريّ، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، 1403هـ ص 528.

إمامة عليّ بن أبي طالب في النّصوص الدينيّة

استدلّ الشيعة على إمامة عليّ بن أبي طالب بنوعين من النصوص الدينيّة، أوّلهما: ما يدلّ على الإمامة بشكل مباشر، وثانيهما: ما يُرشد إلى كمالاته التي لا يُسَوَّغُ طرحها، موضوعيًا، إلاّ لإرشادها إلى كونه الأكمل في الأمّة، وبالتالي يكون هو الإمام بعد رسول الله ﷺ.

النوع الأوّل: ما يدلّ على إمامة عليّ بشكل مباشر:

1. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[1].

من الواضح أنّ الآية لا تتحدّث عن جماعة تحقَّق منهم إيتاء الصّدقات وهم راكعون، فلا يُعهد حصول هذا الأمر عادةً من الناس، وقد أكّدت العديد من الرّوايات التي رواها أهل السنّة، فضلاً عن الروايات التي رواها الشيعة، أنّ هذه الآية نزلت في عليّ ابن أبي طالب حينما تصدّق في المسجد بخاتمه على فقير.

قال في الدرّ المنثور: «**وأخرج الخطيب في المتَّفق عن ابن عبّاس قال تصدّق عليّ بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم، قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: إنّما وليُّكم الله ورسوله**».[2]

(1) سورة المائدة، الآية 55.

(2) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأُثور، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)،ج2، ص293.

2. في بداية الدعوة العلنيّة أنزل الله تعالى على الرسول: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1]، فدعا النبيّ ﷺ قومه وقال لهم: «**إنّي والله، ما أعلم شابًّا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي جئتكم بخير الدّنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزّ وجلّ أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويوازرني على أمري، فيكون أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي في أهلي من بعدي؟ قال: فأمسك القوم وأحجموا عنها جميعًا...[فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام]: أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك على ما بعثك الله به، قال عليه السلام: فأخذ بيدي ثمّ قال ﷺ: «إنّ هذا أخي ووصيِّي ووزيري وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»[2].

3. قال النبيّ ﷺ: «**إنّ لكلّ نبيٍّ وصيًّا ووارثًا، وإنّ عليًا وصيِّي ووارثي**»[3].

4. قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «**أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي**»[4].

---

(1) سورة الشعراء، الآية 214.

(2) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (لا،ط)، بيروت، دار الأعلمي، (لا،ت)، ج2، ص63 / الطوسي، محمّد، الأمالي، ص 583. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج13، ص 211/ المتقي الهندي، علي، كنز العمال، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1409هـ ج13، ص 114.

(3) ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج42، ص 392/ القندوزي، سليمان، ينابيع المودّة، تحقيق سيد علي الحسيني، ط1، (لا،م)، دار الأسوة، 1416هـ ج1، ص 235.

(4) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، ج3، ص 134./ الطيالسي (ت204هـ)، سليمان، مسند أبي داود الطيالسيّ، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)، ص 360./ ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج42، ص 199/ النسائي، أحمد، خصائص أمير المؤمنين، تحقيق محمد هادي الأميني، (لا،ط)، طهران، مكتبة نينوى الحديثة، (لا،ت)، ص 64.

5. قال النبيّ ﷺ: «**إنّ عليًّا منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي**»[1].

6. قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ النبوّة**»[2].

7. قال النبيّ ﷺ في حديث الغدير المتواتر: «**إنَّ الله مولاي، وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثم إنّه أخذ بيد عليّ رضي الله عنه، فقال: من كنت وليّه، فهذا وليُّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه**»[3]. وقد روى العديد من علماء أهل السُّنَّة، فضلاً عن الشيعة، مضمون المقطع الوارد في هذا الحديث «**من كنت وليّه فعليّ وليّه**»[4].

(1) ابن حنبل، احمد، مسند احمد بن حنبل، ج4، ص 438/ الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ج5، ص 296/ النسائي، أحمد، فضائل الصحابة، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا،ت)، ص 15/ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، ج3، ص 111.

(2) البخاري، محمد، التاريخ الكبير، (لا،ط)، تركيا، المكتبة الإسلامية، (لا،ت)، ج1،ص 115/ ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج59، ص 74/ ابن حجر، أحمد، تغليق التعليق، تحقيق سعيد القزمي، ط1، بيروت، المكتب الإسلاميّ، 1405هـ ج4، ص161/ ابن أبي عاصم (ت 287هـ)، أبو بكر، السُّنّة، ط3، بيروت، المكتب الإسلاميّ، 1413هـ ص 596.

(3) النسائي، أحمد، السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ ج5، ص45.

(4) النسائيّ، أحمد، السنن الكبرى، ج5، ص 45/ ابن أبي عاصم، أبو بكر، السُّنّة، ص 589/ ابن أبي شيبة، عبد الله، المصنف، تحقيق سعيد اللحام، ط1، بيروت، دار الفكر، 1409هـ ج7، ص 494/ ابن حبّان، علي، صحيح ابن حبّان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، (لا،م)، مؤسسة الرسالة، 1993م، ج15، ص 375.

النوع الثاني: ما يدلّ على كمالات عليّ:

1.قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[1]. ففي مورد نزول هذه الآية، روى أبو نعيم الحافظ الشافعيّ (ت 430 هـ) بإسناده عن رسول الله ﷺ: «**يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعيَ، وأُنزلت هذه الآية** ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾**. وأنت أذن واعية للعلم**»[2].

2.قال الله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[3]، ففي مورد نزول هذه الآية، وروى الثعلبيّ في تفسيره بالسند المذكور إلى ابن الحنفيّة ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال هو عليّ بن أبي طالب[4]، وكذا روى الحاكم الحسكانيّ بسنده إلى أبي سعيد الخدريّ: سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قال: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب[5]، وكذا ذكر ذلك غيره من المفسِّرين[6].

---

(1) سورة الحاقّة، الآية12.

(2) الأصفهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1409هـ ج1، ص67/ الجويني، ابراهيم، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ ج13، ص136/ الحلي، الحسن، كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر،ط1، قم، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، 1411هـ ص52.

(3) سورة الرعد: الآية43.

(4) الثعلبيّ، أحمد، الكشف والبيان، تحقيق ابن عاشور، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 2002م، ج5، ص 302.

(5) الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحموديّ، ط1، (لا،م)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، 1990م، ج1، ص 400.

(6) انظر: ابن الجوزيّ، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الله، ط1، بيروت، دار الفكر، 1987م، ج4، ص 251/ القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أبي إسحاق أطفيش، بيروت، دار إحياء التراث، 1985م، ج9، ص 336.

3. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]، ففي مورد نزول هذه الآية روى الثعلبيّ، والحاكم الحسكانيّ، والفخر الرّازيّ، وغيرهم من المفسِّرين أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب[2].

4. قال رسول الله ﷺ: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها**»[3].

5. قال رسول الله ﷺ: «**عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ**»[4].

6. في معركة بدر بعد أن قَتَلَ الإمام عليّ عليه السلام نصفَ المشركين، واشترك في النصف الآخر سُمع نداء من السماء يقول: «**لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ**»[5].

(1) سورة البقرة: الآية 207.

(2) الثعلبيّ، أحمد، الكشف والبيان، ج2، ص 126/ الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله، شواهد التنزيل، ج1، ص 130/ الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ط3، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج5،ص 223.

(3) الترمذي، محمّد، الجامع الصحيح، منشورات دار إحياء التراث، بيروت،1983، ج5، ص 637/ الحلي، الحسن، كشف اليقين، ص57/ الأربلي،علي، كشف الغُمَّة، ط2، بيروت، دار الأضواء، 1405هـ ج1، ص113/ الهندي، علي، كنز العمال، ج13، ص 48/ القندوزي، سليمان، ينابيع المودة، ص70.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص 332/ ابن عساكر، علي، تاريخ دمشق، ج42، ص 449/ الدنيوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزينيّ، (لا،ط)، (لا،م)، مؤسسة الحلبي، (لا،ت)، ج1، ص 73.

(5) الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الطبريّ، ج2، ص 197/ الأصفهانيّ، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت)، ج15، ص 128/ ابن الأثير، علي، الكامل في التاريخ، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، 19656م، ج2، ص 154/ ابن كثير، اسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ج6، ص 6/ الكليني، محمد، الكافي، ج8، ص110.

7. في معركة الخندق قال رسول الله ﷺ حينما برز الإمام عليّ عليه السلام لعمرو بن عبد ودّ العامريّ: «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**»[1].

8. في معركة خيبر وبحسب ما روى البخاريّ في صحيحه، «**قال رسول الله ﷺ: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيُّهم يُعطَى، فغدوا كلّهم يرجوه، فقال: أين عليّ؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه، ودعا له خيراً كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية....**»[2].

9. وفي المدينة، وبأمر الله تعالى، أغلق رسول الله ﷺ كلّ الأبواب المطلّة على المسجد إلا باب عليّ[3] عليه السلام.

10. وحينما أُتي للنبيّ ﷺ بطائر مشويّ تذكّر عليّاً عليه السلام، وأبى أن يأكله دونه، ودعا الله تعالى: «**اللهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك، فجاء عليّ بن أبي طالب، فقال له أنس: رسول الله ﷺ مشغول، فرجع، وجاء بعد ساعة، ودقّ الباب، فردّد له أنس مثل ذلك، ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا أنس، افتح له، فطالما رددته، فقال أنس:**

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج13،ص 261/ الجاحظ، أبو عثمان، العثمانية، تحقيق عبد السلام هارون، (لا،ط)، مصر، مكتبة الجاحظ، (لا،ت)، ص 324/ القندوزي، سليمان، ينابع المودة، ج1، ص 284.

(2) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، ج4، ص 20.

(3) النسائي، أحمد، السنن الكبرى، ج5، ص118/ الطبراني، سليمان، المعجم الأوسط، (لا،ط)، (لا،م)، دار الحرمين، 1995م،ج4، ص 186/ القرطبيّ، محمّد، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 208.

يا رسول الله، كنت أطمع أن يكون رجلاً من الأنصار، فدخل عليّ بن أبي طالب، فأكل معه الطير»[1].

11. عن رسول الله ﷺ: «**لو اجتمع النّاس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله عزّ وجلّ النار»**[2].

إمامة عليّ والحسن والحسين في النصوص الدينيّة

نزلت العديد من الآيات القرآنيّة في أسرة عليّ المؤلّفة منه ومن فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ وولديه الحسن والحسين. وكذا ورد الكثير من الأحاديث النبويّة في كتب المسلمين، من الفريقين، تُبيِّن كمالاتهم، وتدعو إلى مودّتهم بما يؤكّد السّؤال الموضوعيّ حول المغزى من ذلك والهدف منه، نعرض منها:

1. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[3].

ففي مورد نزول هذه الآية روى الترمذيّ في سننه: عن أمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ جلّل على الحسن والحسين وعليّ وفاطمة كساء، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، أذهِب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنّك على خير»[4].

---

(1) المتقي الهندي، علي، كنز العمال، ج13، ص167/ انظر: الباقلاني، محمّد، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد، ط3، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1993م، ص 546/ ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج42، ص 250.

(2) القندوزيّ، سليمان، ينابيع المودّة، ج1، ص 272.

(3) سورة الأحزاب، الآية 33.

(4) الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ج5،ص 361.

علّق الترمذيّ: هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيءٍ رُوي في هذا الباب.

2. قال الله تعالى: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1]. ففي مورد نزول هذه الآية روى مسلم في صحيحه: «**لمّا نزلت هذه الآية، ﴿فَقُلۡ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي»**»[2].

وقال الترمذيّ بعد نقل هذا الحديث في سننه: «**هذا حديث حسن غريب صحيح**»[3].

قال العلّامة الطباطبائيّ : أطبق المفسِّرون، واتّفقت الرواية، وأيّده التاريخ أنّ رسول الله ﷺ حضر للمباهلة، ولم يحضر معه إلّا عليّ وفاطمة والحسنان»[4].

ويَلْفِتُ العلّامة الطباطبائيّ في تفسيره إلى أنّ القرآن الكريم رغم صغر سنّ الحسن والحسين في المباهلة، إلا أنّه تعامل معهما على أساس أنّهما من أطراف المحاجّة والمباهلة، وهذا يعني أنّهما من المعتقدين بالدعوى، وإلّا فما معنى قوله تعالى: ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ

(1) سورة آل عمران، الآية 161.

(2) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج7، ص 121، انظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص185.

(3) الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ج4، ص293.

(4) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج3، ص239.

عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، وهذا يدلّ على مدى النّضج العقليّ للحسن والحسين، وهما طفلان صغيران.[1]

3. قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، ففي مورد نزول هذه الآية روى الرازيّ في التّفسير الكبير أنّه سُئل النبيّ ﷺ: يا رسول الله، من قرابتك الّذين وجبت مودّتهم؟ قال ﷺ: «**عليّ وفاطمة وولداهما**».[2]

4. قال الله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾[3].

(1) أنظر: المرجع السابق، ج3، ص237.

(2) الرازي، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد الطيب، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت)، ج10،ص 327/ الشوكانيّ، محمّد، فتح القدير، (لا،ط)، (لا،م)، عالم الكتب، (لا،ت)، ج4، ص537/ القندوزيّ، سليمان، ينابيع المودّة، ج3، ص137.

(3) سورة الإنسان، الآيات: 8-21.

قال الرازيّ في تفسيره: «**رُوي عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما : إنّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في أناس معه، فقالوا : يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما، إنْ شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبريّ اليهوديّ ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه، وباتوا، ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صائمين، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم، فآثروه، وجاءهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا، أخذ عليٌّ عليه السلام بيد الحسن والحسين، ودخلوا على الرسول عليه الصلاة والسلام، فلمّا أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع. قال: ما أشدّ ما يسوؤني، ما أرى بكم! وقام، فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبريل عليه السلام وقال: خذها يا محمّد، هنّاك الله في أهل بيتك، فأقرأها السورة**»[1].

إمامة الحسن والحسين

إضافةً إلى ما تقدّم، فقد خصّص النبيّ ﷺ الحسن والحسين

(1) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ج30، ص244.

بالكثير من الأحاديث الدّالّة على كمالاتهما، والدّاعية إلى محبّتهما، أعرض منها:

1. عن رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[1].
2. عن رسول الله ﷺ: «**إنّ جبرئيل جاء يبشّر في أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة**»[2].
3. عن رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما**»[3].
4. عن أبي بكر: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه، فينظر إلى النّاس مرّة، وإليه مرّة، ويقول: «**ابني هذا سيِّد**»[4].
5. عن رسول الله ﷺ: «**من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[5].
6. عن أنس بن مالك يقول: «**سئل رسول الله ﷺ: أيّ أهل بيتك أحبّ إليك: قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة: أدعي لي ابنيّ فيشمّهما، ويضمّهما إليه**»[6].

(1) الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ج5، ص 321/ ابن حنبل، احمد، مسند أحمد بن حنبل، ج3، ص3.

(2) ابن حنبل، احمد، مسند أحمد بن حنبل، ج5، ص 292.

(3) القزويني، محمد، سنن ابن ماجه، ج1، ص 44.

(4) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، ج4، ص 216.

(5) القزويني، محمّد، سنن ابن ماجة، ج1، ص 1.

(6) الترمذي، محمّد، سنن الترمذيّ، ج5، ص 323.

7. عن ثابت عن البرّاء: «**إنّ رسول الله ﷺ أبصر حسنًا وحسينًا فقال: اللّهمّ، إنّي أحبّهما، فأحبّهما**»[1].

8. عن البرّاء، قال: «**رأيت النبيّ ﷺ والحسن بن عليّ عانقه يقول: اللهمّ، إنّي أحبّه فأحبّه**».[2]

9.عن رسول الله ﷺ: «**إنّ الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا**».[3]

10.عن رسول الله ﷺ: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط**»[4].

11.عن رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سبطان من الأسباط**»[5].

12.عن رسول الله ﷺ: «**من أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله**»[6].

13. في مسند أحمد بن حنبل: «**كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل**

---

(1) المصدر السابق ص 326.

(2) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، ج2، ص 216-217.

(3) الترمذيّ، محمّد، سنن الترمذيّ، ج5، ص 322.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) البخاريّ، محمّد، التاريخ الكبير، ج8، ص 415/ ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج14، ص 150/ ابن كثير، اسماعيل، البداية والنهاية، ج8، ص 224/ الطبري، محمد، بشارة المصطفى، تحقيق جواد الأصفهاني، ط1، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، 1420م، ص 248.

(6) الطبراني، سليمان، المعجم الكبير، ج6، ص 241.

رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه...» [1].

وفي سنن أبي داود: «**... خطبنا رسول الله ﷺ، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل وأخذهما، فصعد بهما إلى المنبر...»** [2].

14. في سنن النسائي: «**كان النبيّ ﷺ يصلّي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم: أن دعوهما، فلمّا صلّى، وضعهما في حجره، ثمّ قال: من أحبّني، فليحبَّ هذين»**[3].

وبعد هذا العرض تردُ تساؤلات:

1. لماذا أخبرنا القرآن عن عصمة الحسنين عليهما السلام ؟!
2. لماذا طلب الله مودّة الحسنين عليهما السلام ؟!
3. لماذا أخبرنا الله في آيات كتابه عن كمال الحسنين عليهما السلام ؟!
4. ما هو سرُّ إكثار النبيّ ﷺ أحاديثه عن حبِّه للحسنين عليهما السلام ؟!
5. ما هو سرُّ دعوة رسول الله ﷺ إلى حبّ الحسنين عليهما السلام ؟!
6. ما هو سرُّ التصرُّفات اللافتة من النبيّ ﷺ اتّجاه الحسنين بحيث يترك الخطبة ويحتضنهما ويصعد بهما المنبر، ويمنع التعرّض لهما حينما يعتليان ظهره وهو ساجد؟!

---

(1) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج5، ص354.

(2) السجستاني، سليمان، سنن أبي داود، ج1، ص 248.

(3) النسائي، أحمد، فضائل الصحابة، ص 20.

أكان كلّ هذا لأنّه جدُّهما؟!

أيصحّ من خاتم الرسل أن ينطلق في كلّ ذلك، فقط، من عاطفة الجدّ؟

أم أنّ للأمر حكاية أخرى ترتبط بمستقبل الإسلام الذي كان يأخذ كلّ تفكير رسول الله ﷺ، فهو بذلك يرشد المسلمين إلى كمالاتهم التي تدلّ على دورهم في استمرار الإسلام، سنَّةً وقيادة؟ لا سيّما أنّهما مع أبيهما وأمّهما يُشكّلان الجيل الأوّل في مدى خمسين عاماً من زمن رحيل رسول الله عام 11 للهجرة، إلى زمن شهادة الحسين عام 61 للهجرة، ومن المعروف أهميّة أن يكون في هذا الجيل من يتمثّل فيه الإسلام الحقيقيّ بصفائه ونقائه، ليستمرّ فيهم نقاء الإسلام في الأجيال الآتية، وعليه، يأتي السؤال غير الاستفهاميّ حول خلافة غيرهم!!

إمامة أبناء الحسين التسعة في كتب أهل السنَّة

إنّ الأئمّة التّسعة من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وإن كانوا محلّ احترام وتقدير وتبجيل عن علماء أهل السنّة، بما تُرجم عمليًّا في وضع أسمائهم في المسجد النبويّ الشريف، وهي باقية إلى يومنا هذا، إلاّ أنّ الأحاديث النبويّة حول أسمائهم، أو ما يشير إليهم في كتب أهل السُّنّة قليلة، من قبيل ما رواه القندوزيّ الحنفيّ: عن سلمان الفارسيّ (رض) قال : دخلت على النبيّ ﷺ فإذا الحسين على فخذيه. وهو

يقبل خدّيه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيّد، ابن سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، وأنت حجّة، ابن حجّة، أخو حجّة، أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهديّ»[1]. وما رواه أيضاً عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون**»[2].

أبناء الحسين في كتب الشيعة

من الواضح والجليّ وجود التواتر في أحاديث الشيعة في تحديد أسماء الأئمَّة الاثني عشر تارة بذكرهم معًا، وأخرى من خلال تنصيص الإمام السّابق، نعرض من تلك الأحاديث:

1. عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال : «**قال رسول الله ﷺ للحسين بن عليّ عليه السلام: يا حسين، يخرج من صلبك تسعة من الأئمّة منهم مهديّ هذه الأمّة، فإذا استشهد أبوك، فالحسن بعده، فإذا سُمّ الحسن، فأنت، فإذا استشهدت، فعليّ ابنك، فإذا مضى عليّ، فمحمّد ابنه، فإذا مضى محمّد، فجعفر ابنه، فإذا مضى جعفر، فموسى ابنه، فإذا مضى موسى، فعليّ ابنه، فإذا مضى عليّ، فمحمّد ابنه، فإذا مضى محمّد، فعليّ ابنه، فإذا مضى عليّ، فالحسن ابنه، فإذا مضى الحسن، فالحجّة بعد الحسن يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا**»[3].

(1) القندوزي، سليمان، ينابيع المودة لذوي القربى، ج3، ص 291.

(2) المصدر السابق، ج2، ص 316.

(3) الخزار القمي، علي، كفاية الأثر، تحقيق عبد اللطيف الخوئي، قم، بيدار، 1401هـ ص 62.

2. عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال : «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام : أنا أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، ثمّ أنت يا عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعدك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وبعده جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعده الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والحجّة بن الحسن أئمّة أبرار هم مع الحقّ والحقُّ معهم**»[1].

3. عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سُئلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأئمّة فقالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ عليه السلام : يا عليّ، أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت، فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن، فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين، فابنه عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ، فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد، فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا**

(1) المصدر السابق، ص 177.

مضى جعفر، فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى، فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ، فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد، فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ، فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن، فالقائم المهديّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمّة الحقّ وألسنة الصدق، منصور من نصرهم مخذول من خذلهم»[1].

4. عن أبي جعفر الثاني [أي محمّد الجواد] قَال: «**أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن عليّ وسلمان الفارسيّ رضي الله عنه، وأمير المؤمنين متّكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللِّباس، فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام فردّ عليه السلام فجلس، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : سلني عمّا بدا لك؟ فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمّد الحسن فقال : يا با محمّد أجبه. فقال:**

(1) الخزار القمي، علي، كفاية الأثر، ص 196.

أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإنّ روحه متعلِّقة بالريح والريح متعلِّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرّك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الروح إلى صاحبها جذبت تلك الروح الريح، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها، وإن لم يأذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الروح إلى صاحبها جذب الهواء الريح، وجذبت الريح الروح، فلم تردّ إلى صاحبها إلى وقت ما يبعث، وأمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان: فإنّ قلب الرجل في حُقّ، على الحُقّ طبق فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاة تامّة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُقّ فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسيه، وإن هو لم يصلِّ على محمّد وآل محمّد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُقّ فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكر. وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله، فإنّ الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب فأسكنت تلك النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأمه، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب، اضطربت تلك النطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق، فإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الرجل أخواله، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته بعده. وأشار بيده إلى

أمير المؤمنين عليه السلام. ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجَّته. وأشار إلى الحسن عليه السلام. وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصيّ أبيك والقائم بحجّته بعدك، وأشهد على عليّ بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمّد بن علي أنه القائم بأمر عليّ بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمّد أنه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على موسى بن جعفر أنه القائم بأمر جعفر بن محمّد، وأشهد على عليّ بن موسى أنّه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن موسى، وأشهد على عليّ بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر عليّ بن محمّد، وأشهد على رجل من ولد الحسن بن عليّ لا يُكنى ولا يُسمّى حتى يظهر أمره فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثمّ قام فمضى فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمّد اتّبعه فأنظر أين يقصد؟ فخرج الحسن عليه السلام في أثره، قال : فما كان إلا أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأعلمته. فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟ : فقلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، فقال: هو الخضر عليه السلام»[1].

(1) القمّي، علي، الإمامة والتبصرة، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، 1404هـ، ص 106-108.

5. روى عبد الله بن جندب عن موسى بن جعفر أنه قال: تقول في سجدة الشكر: «**اللهمَّ، إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّك أنت الله ربّي، والإسلام ديني، ومحمَّدًا نبيّي، وعليًّا والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والحجّة بن الحسن بن عليّ أئمتي بهم أتولّى ومن أعدائهم أتبرّأ**»[1].

المهديّ عجل الله فرجه الشريف الإمام المجمع عليه

اللافت في عقيدة المسلمين اتفاقهم على حاكم إسلاميّ محمّديّ استثنائيّ سوف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً لقبه «**المهديّ**» وهو من أحفاد النبيّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ولد فاطمة، نذكر بعضًا من تلك الأحاديث:

1. في مسند أحمد بن حنبل: «**...قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنقضي الأيام، ولا يذهب الدّهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، اسمه يواطئ اسمي**»[2].
2. في المستدرك للحاكم النيسابوريّ: عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**المهديّ منّا، أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنى، أجلى، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا**»[3].

---

(1) القمي، محمد، من لا يحضره الفقيه، ط2، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، (لا،ت)، ج1، ص 330.
(2) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص 376.
(3) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، المستدرك، ج4، ص 557.

3. في سنن ابن ماجة عن رسول الله ﷺ: «**المهديّ من ولد فاطمة**»[1].

4. في سنن ابن ماجة أيضًا عن عبد الله قال: «**بينما نحن عند رسول الله، إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلمّا رآهم النبيّ ﷺ اغرورقت عيناه، وتغيّر لونه، قال: فقلت:... نرى في وجهك شيئًا نكرهه، فقال ﷺ: إنّا أهل بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريدًا وتطريدًا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيتقاتلون فينصرون، فيعطون ما سئلوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطًا كما ملؤوها جورًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حبوًا على الثلج**»[2].

5. في سنن أبي داود عن رسول الله ﷺ: «**لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا**»[3].

6. في سنن أبي داود، أيضاً عن رسول الله ﷺ: «**المهديّ من عترتي من ولد فاطمة**»[4].

7. في سنن الترمذيّ عن رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**»[5].

---

(1) القزويني، محمد، سنن ابن ماجة، ج2، ص 1368.

(2) المصدر السابق، ص 1366.

(3) السجستاني، سليمان، سنن أبي داود، ج2، ص 310.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) الترمذي، محمد، سنن الترمذي، ج3، ص343.

أمر لافت

اللّافت في الروايات المهدويّة ما ثبت عند علماء أهل السنّة من أنّ عيسى بن مريم يصليّ خلف المهديّ، فقد نقل ابن حجر عن أبي الحسن الخسعيّ الأبديّ في مناقب الشافعيّ أنّه قال: «**توافرت الأخبار بأنّ المهديّ من هذه الأمّة، وأنّ عيسى يصلّي خلفه**»[1].

وقال في الإصابة : «**ثبت انّ عيسى يصلّي خلف إمام هذه الأمّة**»[2]، وقد رووا في تحقيق ذلك روايات كثيرة منها: ما رواه البلخيّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ عيسى نازلٌ فيكم...ويصلّي خلف المهديّ**»[3]، وما في السيرة الحلبيّة: «**...ينزل عيسى...ونزوله يكون عند صلاة الفجر، فيصلّي خلف المهدي**»[4]، وما رواه المقدسيّ في عقد الدرر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**...يلتفت المهديّ، وقد نزل عيسى ابن مريم،...فيصلّي عيسى خلف رجل من ولـدي**»[5]، وما ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: «**...فإذا كبّر ودخل في الصلاة نزل عيسى ابن مريم عليه السلام ... فيصلّي عيسى عليه السلام وراءه**»[6]، وما رواه المروزيّ في الفتن: «**فيصلّي**

(1) ابن حجر، فتح الباري، ط2، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)، ج6، ص 358.

(2) ابن حجر، أحمد، الإصابة، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ ج2، ص256.

(3) البلخيّ، احمد (ت 507هـ)، البدء والتاريخ، (لا،ط)، برطرند شهر باريس، (لا،ن)، 1899م، ج2، ص190-192.

(4) الحلبي، عليّ، السيرة الحلبية، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، 1400هـ ج1،ص 314.

(5) المقدسي، يوسف، عقد الدرر، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط1، القاهرة، مكتبة عالم الفكر، 1399هـ ص 230.

(6) ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص 225.

عيسى وراءه»[1]، وما أورده القندوزيّ في ينابيع المودّة: «**...ويصلّي عيسى خلف المهديّ»**[2].

وما تقدّم يوضّح معنى الحديث النبويّ الذي رواه البخاريّ ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»**[3].

فكيف نفسِّر صلاة نبيّ رسول من أولي العزم الخمسة يواكبه الملك جبرئيل يصلّي خلف حاكم مسلم؟!! ألا يدلُّ ذلك على كون هذا الحاكم ليس حاكمًا عاديًّا، بل له شأنه الخاصّ جدًّا عند الله عزّ وجلّ؟!!

(1) المروزي، حماد، الفتن، تحقيق سهيل زكار، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1414هـ ص 246.
(2) القندوزي، سليمان، ينابيع المودّة، ج3، ص 237.
(3) البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، ج4، ص 143/ النيسابوريّ، مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص 94/ ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج2، ص 336.

المرسى

ما هي وظيفتي الآن؟

ما هو المعبَر العمليّ للتّكامل في هذا العصر؟

من خلال المسار السّابق أصبحتُ: مؤمنًا بالخالق، موحِّدًا له، مُسلمًا، شيعيًّا اثني عشريًا، وقد علمت أنّ التكامل الإنسانيّ الذي هو سرّ الخلق وهدف الوجود متحقّق بـ:

1. رسالة الإسلام قرآنًا كريمًا وسنّة شريفة.
2. النبيّ ﷺ والاثنَيْ عشر الذين هم حفظة السّنّة ومبلّغوها، وأيضاً هم ولاة أمر.

وبهذا يتحقّق التكامل بمساريه الفرديّ والاجتماعيّ.

بعد هذا أسأل؟

أنا كمسلم شيعيّ اثني عشريّ أعيش في هذا العصر، كيف أستطيع أن أتوصّل إلى تكاملي في ضوء حقيقتين:

الأولى: إنّ السنّة النبويّة لم تصِلْ إليَّ ككتاب واضح أعتمد عليه، كما هو حال القرآن الكريم، فكيف أتعرّف عليها من خلال الأحاديث الكثيرة جدًا المنتشرة في الكتب الجامعة لها؟ فكتاب جامع

أحاديث الشيعة للسيِّد البروجردي قدّس سرّه يحتوي على خمسين ألف حديث، فكيف أتعرَّف على المعتبر منها؟ وكيف أفهمها، وأفهم القرآن الكريم، بشكل صحيح؟

الثانية: إنّ الإمام الثاني عشر المهديّ عجّل الله فرجه الشريف هو الآن غائب، فكيف أسير في التكامل الاجتماعيّ مع غيابه؟

أ. كيف أعرف الحكم الشرعيّ؟

إجابةً عن السؤال الأوّل، فإنّي حتى أتعرّف على الأحكام الشرعيّة، التي هي قوانين طريق التكامل وآدابه، لا بدّ، إنّ لم أسلك طريق الاحتياط، أن أعبر أحد طريقين:

الطريق الأوّل: أن أخوض شخصيًّا غمار البحث والتحقيق، من خلال دراسة متعمّقة، وهذا ما يحتاج منّي إلى قضاء وقت كبير من حياتي في دراسات تخصّصيّة؛ لأنّ هناك الكثير من الأسئلة التي يجب الإجابة عنها للوصول إلى الأحكام الشرعيّة عبر الكتاب والسُّنَّة إضافةً إلى العقل القطعيّ.

وللتوضيح أعرض نماذج من تلك الأسئلة:

1. هل العقل الإنسانيّ القطعيّ يدرك حسن الأشياء وقبحها؟ فهل يدرك، وحده، من دون حاجة إلى شريعةٍ أنّ العدل حسن، وأنّ الظلم قبيح، وبالتالي يكون إدراكه هذا حاكمًا على فهمه لأيّ نصٍّ دينيّ؟

وهذا السؤال يحتاج إلى بحث عقليّ موقعه المناسب علم العقيدة.

2. هل الخطاب القرآنيّ عامّ لكلّ الناس، أو أنّ له أسلوبًا خاصًّا يناسب الخواصّ لا العوامّ؟
3. ما هو المعيار الصحيح لكون الحديث الوارد عن المعصوم معتبرًا؟
4. كيف أتعامل مع آيات قرآنيّة عامّة أو مطلقة (مثل: أحلّ الله البيع وحرّم الربا) مع ورود حديث مخصّص أو مقيّد لتلك الآية؟
5. ما العمل حينما ألاحظ تعارضًا بين روايتين معتبرتين؟

ولهذه الأسئلة (2-3-4-5) أُسِّس ما يُسمَّى بـ علم الأصول.

6. كيف أفهم المعاني الواردة ألفاظها في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة بشكل صحيح؟

وهذا يحتاج إلى التحصيل المناسب لعلوم اللغة المرتبطة بذلك.

7. كيف أتعرّف على كون رواة هذا الحديث من الثِّقات أو الضعفاء أو غير ذلك؟

ولأجل هذا السؤال أُسِّس علم الرجال.

إلى غيرها من الأسئلة التي توضِّح أنّ الوصول إلى الحكم الشرعيّ بحاجة إلى تخصّص عميق في علوم عديدة أُنشئت لأجلها ما يطلق عليه اليوم «**الحوزات العلميّة**» التي هي عبارة عن جامعات متخصّصة بدراسة الدين الإسلاميّ.

وعليه، فالطريق الأوّل لمعرفة الأحكام الشرعيّة أن أدرس في الحوزة

العلميّة إلى أن أصل إلى مستوى علميّ يؤهّلني للحصول على الأجوبة المُقنعة للأسئلة الواقعة في طريق معرفة الحكم الشرعيّ، وهذا ما يتطلّب سنوات مديدة من الجهد العلميّ والبحثيّ، والذي يؤدّي إلى بروز متخصّصين بمستوى علميّ عالٍ يُطلق عليهم «**مجتهدون**» أو «**فقهاء**».

ومن الواضح أنّ هذا الطريق لا يتوفّر إلاّ للنزر القليل، فضلاً عن أنّ دخول جميع الناس في إطار هذه الدّراسات المتخصّصة يعطِّل المسار الموضوعيّ لحركة المجتمع.

الطريق الثاني: أن أسير بمنهج العقلاء وبنائهم وسيرهم في المجتمع، «**فإنّ الناس حينما يواجهون متطلّبات الحياة يجدونها متشعّبة جدًّا، فهناك حاجات طبيّة وصناعيّة وزراعيّة وهندسيّة وهكذا. وبعض هذه المتطلّبات قد يعرفها جلُّ الناس بشكل واضح، فكلّ إنسان، بحكم التجربة الساذجة في حياته، يعلم أنّه إذا تعرّض إلى مناخٍ باردٍ فجأة، فقد يُصاب بأعراض حُمّى. ولكنّ كثيراً من أساليب الوقاية والعلاج لا يعرفها إلاّ عن طريق الطبيب، ولا يعرفها الطبيب إلاّ بالبحث والجهد، وهكذا الحال في مجال التعمير والبناء، ومجالات الزراعة والصناعة، على اختلاف فروعها**»[1].

(1) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ط6، بيروت، دار التعارف، 1399هـ ص89 - 90.

ومن هنا وجد كلّ إنسان أنّه لا يمكن عمليًّا أن يتحمّل بمفرده البحث والجهد العلميّ الكامل في كلّ ناحية من نواحي الحياة؛ لأنّ هذا، عادة، أكبر من قدرة الفرد وعمره من ناحية، ولا يتيح له العمق في كلّ تلك النواحي بالدّرجة الكبيرة، من ناحية أخرى، فاستقرّت المجتمعات البشريّة على أن يتخصّص لكلّ مجال من مجالات المعرفة والبحث، عددٌ من الناس، فيكتفي كلّ فرد في غير مجال اختصاصه، بما يعلمه على البديهة، ويعتمد في ما زاد عن ذلك، على ذوي الاختصاص محمّلاً إيّاهم المسؤوليّة في تقدير الموقف. وكان ذلك لونًا من تقسيم العمل بين النّاس، سار عليه الإنسان بفطرته منذ أبعد العصور.

ولم يشذّ الإسلام عن ذلك، بل جرى على الأساس نفسه الذي أخذ به الإنسان في كلّ مناحي حياته، فوضع مبدأي الاجتهاد والتقليد، فالاجتهاد هو التخصّص في علوم الشّريعة، والتقليد هو الاعتماد على المتخصّصين؛ فكلّ مكلّف يريد التعرّف على الأحكام الشرعيّة يعتمد أوّلاً على بداهته الدينيّة العامّة، وما لا يعرفه بالبداهة من أحكام الدّين، يعتمد في معرفته على المجتهد المتخصّص، ولم يكلّف الله تعالى كلّ إنسان بالاجتهاد ومعاناة البحث والجهد العلميّ من أجل التعرّف على الحكم الشرعيّ، توفيرًا للوقت وتوزيعًا للجهد الإنسانيّ على كلّ حقول الحياة. كما لم يأذن الله سبحانه وتعالى لغير المتخصّص المجتهد بأن يحاول التعرّف المباشر على الحكم الشرعيّ من الكتاب والسنّة، ويعتمد على محاولته، بل أوجب عليه أن يكون التعرُّف على

الحكم عن طريق التقليد والاعتماد على العلماء المجتهدين»[1].

والنتيجة أن الأحكام الشرعيّة التي تحققّ كمال الإنسان موجودة في الرسالة العمليّة لمرجع التقليد.

ب. كيف أحقّق التكامل الاجتماعيّ في غيبة المعصوم؟

تقدّم في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه كان، إضافةً إلى كونه صاحب الحقّ الحصريّ من قبل الله تعالى بالتشريع، الأكمل في مواصفات القائد والوليّ الذي لا بدّ من وجوده لتوجيه الأمّة نحو مصالحها وتحديد أولويّاتها، وقيادتها نحو مستقبلها، والذي، بشكل عامّ، لا بدّ أن يكون عالماً بأحكام الله عزّ وجلّ، كُفْءًا في قيادته، محصَّنًا في ذاته. كما تقدّم أنّ الأئمة الاثني عشر كانوا، إضافةً إلى حفظهم وتبليغهم للسنّة النبويّة، الأكمل في مواصفات القائد الوليّ.

وقد أكّد الأئمّة عليهم السلام على هذا الأمر مشيرين إلى أهمّيته، بل حساسيّته في تحقيق هدف الله تعالى، فعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**ذروةُ الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن، الطاعةُ للإمام بعد معرفته، إنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[2]، **أمّا لو أنّ رجلاً قام**

(1) الشهيد الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، (لا،ط)، النجف، مطبعة الآداب، (لا،ت)، ص 89-90.

(2) سورة النساء، الآية 80.

ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان...»[1].

والسبب في شدَّة الكلام الوارد في هذه الرواية يعود إلى أنّ الوليّ هو الذي يحدِّد مسار الأمّة والتكليف الاجتماعيّ للناس، فالمسير بهدي دلالته هو الذي يحقّق التكامل الاجتماعيّ، فلو أنّ المسلم انصرف إلى العبادة أو العلم أو العمل تاركًا توجيهات وليّ الأمر، فإنّه لن يحقّق ذلك الهدف الذي هو علّة الخلق، وبالتّالي، لا يكون له حقّ في الثواب على عبادة لا يريدها الله منه في ذلك الموقع، كمن ترك الإمام عليًّا عليه السلام وهو في قلب المعركة التي دعا إلى نصرة الإسلام فيها، وذهب إلى صومعة العبادة، فإنّ موقعه ليس حيث يريد الله أن يكون، فكيف يكون له عند الله حقّ في ثوابه؟!!

وبالتالي فإنّ أهمّيَّة ولاية الوليّ لا تنحصر بمرجعيّته الدينيّة المتعلّقة بحفظ السُنّة النبويّة وتبليغها، بل تشمل القيادة الاجتماعيّة التي يدلّ عليها العقل النّاظر إلى الشّريعة الإسلاميّة التي هي شريعة حكومة لا شريعة فرد أو جمعيّة وما شابهها. وبالتّالي لا بدّ لها من حاكم إسلاميّ عالم بتلك الشّريعة، مؤتَمنٍ على تطبيقها في المجتمع كفءٍ في هذا التطبيق. وحينما يحكم هذا الحاكم العالم المؤتمن الكفء

(1) الكليني، محمد، الكافي، ج2، ص19.

بحكم عامٍّ يراعي فيه مصلحة المجتمع، يجب على أبناء المجتمع أن يطيعوه، فهو وليٌّ عليهم وقائدٌ اجتماعيٌّ لهم، يحدِّد مصالحهم وأوليّاتهم، ويوجِّههم نحوها.

وهذا الكلام ذاته يجري بعد غيبة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف عام 329 هـ فالإسلام ما زال دين حكومة قطعًا، وما زالت الحكومة، يقينًا، تحتاج إلى العالم بالأحكام الإسلاميّة، المؤتمن على تطبيقها الكفء في إدارة المجتمع. وحينما تتعدّد الخيارات في هذه المواصفات، فالاتجاه العقلائيّ يدعو إلى أن يكون القائد هو الأكمل في مجموع هذه الصّفات. فبعد فقد المعصوم وغيابه، وهو الأكمل قطعًا، لا بدّ من تولّي الأكمل، بعده، من العلماء (الفقهاء) المؤتَمنين (العادلين)، ذوي الكفاءة. وهذا القائد الأكمل حينما يحكم في ضوء رؤيته الفقهية، وتحديده للمصالح العامّة للمجتمع يجب على أبناء المجتمع أن يطيعوه. وهذا يعني أنّ له ولاية عليهم، وهو ما يُطلَق عليه في هذا العصر بـ «**ولاية الفقيه**».

إذًا كما يكون التكامل الفرديّ من خلال اتّباع مرجع التقليد، يكون التكامل الاجتماعيّ العام من خلال تولّي الفقيه.

ما هي قضيّتي الأساسيّة في هذا العصر؟

تقدَّم أنّ الله تعالى في حواره مع الملائكة التي سجّلت ملاحظة على خلق الإنسان لَفَتَها إلى قصور معرفتها، مبيِّناً وجه التكامل الاجتماعيّ في مستقبل البشريّة، والذي أبرزه من خلال الأسماء، ممّا يشير إلى أنَّ قافلة البشريّة تسير في خطٍّ تكامليّ صعوديّ وإن تخلَّلته منحدرات، إلاّ أنّ نهايته هي التكامل لا التسافل.

مشهد التكامل الاجتماعيّ إلى عصر خاتم الأنبياء ﷺ[1]

يمكن لنا قراءة السَّير التكامليّ لقافلة البشريّة عبر قراءة المراحل الأساسيّة في تاريخ البشريّة التي كان أبطالها الأنبياء الخمسة الأهمّ في تاريخ الإنسانيّة: نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمّد ﷺ الذين أُطلق عليهم مصطلح «**أولي العزم**» في قوله تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2] وقد علَّل الإمام الصادق عليه السلام سرَّ تسميتهم بذلك بأنّهم محاور حركة

(1) هذا البحث هو خلاصة كتابي (قافلة البشرية).

(2) سورة الأحقاف، الآية 35.

الإنسانيّة والمحطات الأساسيّة في تاريخ البشريّة، ففي رواية معتبرة قال عليه السلام: «**سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولو العزم من الرّسل، وعليهم دار الرحى: نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمّد (صلّى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء)**»[1].

بناءً على هذا نقرأ، بشكل إجماليّ، التكامل الاجتماعيّ من خلال هذه المحطّات الأساسيّة.

1. النّبيّ نوح عليه السلام رسول المحطّة الأولى

عاش نوح عليه السلام في وسط مجتمع يُنكر الاتّصال بين الله عزّ وجلّ والنّاس عبر رسول إنسان، وبالتالي فإنّ تواصل ذلك المجتمع مع الله تعالى كان مقطوعاً. وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2].

وبعد محاولات وجهد كبير لهدايتهم آمن بعض منهم، وحصل اليأس من البقيَّة فأمر الله نوحاً أن يصنع سفينة النجاة التي سيصعد عليها الجيل البشريّ المتبقّي، ويغرق الآخرون. قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ

(1) الكليني، محمد، الكافي، ج1، ص175.

(2) سورة المؤمنون، الآية 23-24.

نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1].

2. النّبيّ إبراهيم عليه السلام رسول المحطّة الثّانية

انحرف العديد من المجتمعات البشريّة بعد رسول الله نوح عليه السلام عن مسار العلاقة الصّحيحة بالله تعالى، حتّى وصلت إلى عبادة التّماثيل، فبعث الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام، لتكون له مهمّة أساسيّة هي بناء مجتمع التوحيد المعتقِد بأنّ المعبود ينحصر بالله الواحد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[2].

وقد استطاع نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بناء مجتمع موحِّد مؤمن بالله تعالى نابذٍ للتماثيل والأصنام. وقد تجلّى مجتمع التوحيد بأبناء خليل الله إبراهيم عليه السلام الذين استجاب الله تعالى فيهم دعوته التي حدّثنا عنها القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[3].

---

(1) سورة هود، الأية 36-37.

(2) سورة الأنبياء/ الأية 51-56.

(3) سورة إبراهيم، الآية 35.

من هذه المحطّة الإبراهيميّة، ومن صلب النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نشأ أبناء الدين الحنيفيّ الموحِّد لله تعالى من أبناء إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما نشأ، من أبناء إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، مجتمع بني إسرائيل الموحِّد لله تعالى، والذي عانى محناً وخطوباً أوصلته إلى حالة الاستعباد في عصر فرعون، ليرسل الله تعالى لهم نبياً يخلِّصهم من محنتهم، ويكون قائد المحطّة الثالثة، وهو رسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

3. النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول المحطّة الثالثة

بعد العبور من محطّة التواصل مع الله تعالى عبر الرسول الإنسان، إلى محطّة مجتمع التوحيد، أراد الله تعالى أن يرقّي المجتمع إلى محطّة ثالثة بأن يتحوَّل مجتمع التوحيد إلى مجتمع تشريعيّ يعيش أفراده في ضوء الشريعة الإلهيّة، وكان قائد هذه المحطّة النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

من هنا نلاحظ التّأكيد القرآنيّ على دور الكتاب والألواح والرسالات في محطّة النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ما نقرؤه في الآيات الآتية:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

(1) سورة المؤمنون، الآية 49.
(2) سورة الأنعام، الآية 154.

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ...﴾[1].

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ...﴾[2].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي...﴾[3].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ...﴾[4].

من هنا نجد أنّ اليهود، رغم التحريف الذي دخل على كتبهم المقدّسة، فإنّ مجتمعهم يتميّز بالاهتمام بالجوانب التشريعيّة بين أفراده.

4. المحطّة الرابعة بين النّبيَّيْنِ عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم

بعد أن ارتقى المجتمع البشريّ من محطّة الإيمان بالتواصل بين الله تعالى والناس عبر الرّسول الإنسان، إلى محطّة الاعتقاد بتوحيد الله تعالى، إلى محطّة المجتمع التشريعيّ، فما هي المحطّة التالية التي خطّط الله تعالى لوصول المجتمع الإنسانيّ إليها؟

إنّها محطّة مجتمع التكامل الإنسانيّ الذي يتحقّق بالحكومة الإلهيّة العالميّة. إلاّ أنّ السؤال: متى تتحقّق هذه المحطّة التي تُعتبر خاتمة المحطّات التي تصل قافلة الإنسانيّة فيها إلى أوج كمالها؟

---

(1) سورة الإسراء، الآية 2.

(2) سورة الأعراف، الآية 145.

(3) سورة الأعراف، الآية 144.

(4) سورة هود، الآية 110.

يجيب القرآن عن هذا السؤال بقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[1].

إنّ هذه الآيات تفيد أنّ هدف إرسال الله رسوله محمَّداً ﷺ هو إظهار الدّين أي غلبته على كلّ الأديان، وبالتالي فإنّ شريعة هذا الدين ستحكم المجتمعات، وعندها تتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى.

لكن من الواضح أنّ هذه النبوءة لم تتحقّق في زمن خاتم الرّسل محمّد بن عبد الله ﷺ، وهذا يعني أنّ دين محمّد ﷺ، وهو الإسلام، سيكون دين الحكومة الإلهيّة العالميّة بغياب شخص النّبيّ محمّد ﷺ.

وهذا الأمر أكّده الرسول محمّد بقوله ﷺ: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من ولدي، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**»[2].

إذاً، إنّ المحطّة الرابعة هي محمّديّة الدين بقيادة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، لكنّ السؤال يبقى عن دور النبيّ عيسى بن مريم عليه السلام

(1) سورة التوبة، الآية 31-33.

(2) الصدوق، محمد، كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1405 هـ، ص318.

الذي هو الرسول الرابع من أولي العزم، والذي بحسب التسلسل المنطقيّ السابق، كان يُفترض أن يكون هو قائد محطّة الحكومة الإلهيّة.

وما يعزّز هذا الافتراض أنّه ركّز دعوته وتبليغه وحركته الإصلاحيّة على المجتمع اليهوديّ، أي مجتمع الشريعة الذي يعيش المحطّة الثالثة، إلاّ أنّ أحبار اليهود منعوه من النّجاح في هذه الحركة، وحالوا بينه وبين الوصول إلى هدفه.

لعلّ سرّ رفع الله تعالى لرسوله عيسى بن مريم عليه السلام هو أنّه لم يستكمل دوره في تحقيق المحطّة الرابعة، وهي الحكومة الإلهيّة، لذا رفعه الله إليه لينزله في زمن قائد تلك المحطّة، وهو الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ليؤازره ويشاركه صناعة الحكومة الإلهيّة العالميّة، كما أكّدته النصوص الإسلاميّة التي منها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**ينزل عيسى بن مريم** عليه السلام**.. بيده حربة.. يهلك الدجال، ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه**»[1].

وبهذا تتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى عبر حفيد إبراهيم عليه السلام الإسماعيليّ، يؤازره حفيده الإسحاقيّ.

(1) البحراني، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا، ط)، (لا، ن)، (لا، ت)، ج7، ص93.

الواعون لمسار القافلة الإنسانيّة

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ...﴾[1].

عند التدبُّر في هذه الآية لاحظتُ أمرين:

الأمر الأول: أنّها وصفت المؤمنين بالله ورسله بأنّهم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم، مع أنّ كلّ المسلمين يؤمنون بالله ورسله، فهل يعني هذا أنّ جميع المسلمين هم صدّيقون وشهداء؟ من الواضح أنّ هذا الأمر غير صحيح، لا سيّما عند التأمّل بمعنى «**الصدّيق**» فإنّه من تحقّقت فيه ثلاث صفات، هي:

1. أن يكون خبره مطابقاً للواقع.
2. أن يكون متيقّناً بما يخبر عنه.
3. أن يكون فعله ملازماً لقوله، أي سرى الصدق في قوله وفعله، فيفعل ما يقول، ويقول ما يفعل[2].

فهل كلّ المسلمين هم كذلك؟!!

الأمر الثاني: أنَّ هذه الآية تحدّثت عن الإيمان بالله ورسله، إلى جانب آيات قرآنيّة أخرى عبّرت «**بالله ورسوله**»، وهما الركنان اللَّذان يُعتبران في تحقّق الهويّة الإسلاميّة، ومن هذه الآيات:

---

(1) سورة الحديد، الآية 19.

(2) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص163.

1. ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾[1]

2. ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾[2]

3. ﴿... فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ...﴾[3]

4. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾[4]

5. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[5]

إنّ التأمل بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيـنَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ...﴾[6]، ألا يفيد أنّ وصف الصدّيقين يعود لمن يؤمن بحركة الرسل التي، كما ذكرنا سابقاً، عرضها الله تعالى على أنها حركة القافلة الإنسانيّة؟! وعليه فإنّ الإيمان بهذه الحركة والوعي بها هو الذي يمنح وسام الصدّيقين للمؤمنين بها، مع ملاحظة أنّ معنى الصدّيقين يتضمّن أن يكون سلوك هؤلاء المؤمنين الواعين منسجماً مع إيمانهم ووعيهم.

العقبات في مسار الحكومة الكبرى

عبَّر الله عزّ وجلّ عن الطريق الذي يُوصِل إليه بمصطلحَي الصراط والسبيل، واللّافت في القرآن الكريم أنّ العقبات التي ذكرها في هذا

---

(1) سورة النور: الآية 62.

(2) سورة الفتح، الآية 13.

(3) سورة الأعراف، الآية 158.

(4) سوؤة النساء، الآية 136.

(5) سورة الصف، الآية 10-11.

(6) سورة الحديد، الآية 19.

الصّراط هي ثلاث:

1. إبليس

قال الله تعالى: ﴿... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿... وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ...﴾[2].

2. المنافقون

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

3. اليهود الظالمون

قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[4].

الخلاصة: عقبات سبيل التكامل الإنسانيّ الاجتماعيّ هم: إبليس، المنافقون المنتسبون إلى الإسلام ظاهرًا، واليهود الظالمون.

(1) سوءة الأعراف: الآية 16.
(2) سورة النمل، الآية 24.
(3) سورة المنافقون، الآية 1و2.
(4) سورة النساء، الآية 160.

مشهد التكامل الاجتماعيّ من عصر خاتم الأنبياء ﷺ إلى خاتم الأوصياء عليه السلام

تقدَّم أن غاية رسالة الإسلام هي إظهار الدين على الدين كلّه. ولكي تتمّ تلك الغاية كان المجتمع الإسلاميّ أمام ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة التنزيل، وهي المرحلة النبويّة الشريفة التي ثبَّت فيها رسول الله ﷺ الإسلامَ، ورسَّخه مظلّة عامّة بغضّ النظر عن مدى الإيمان وعمقه في نفوس المسلمين، وقد نجح النبيّ ﷺ في ذلك، بعد أن جعل التنزيل محور قضاياه من سلم وحرب وعهد وتحالف ومصاهرة... إلى غير ذلك.

وتسمية هذه المرحلة بالتنزيل هي من النبيّ نفسه في قوله ﷺ: «**أنا أقاتل على التنزيل**»[1].

الثانية: مرحلة التّأويل، وهي المرحلة التي تلت وفاة رسول الله ﷺ، وهو ﷺ أطلق هذا المصطلح بقوله، في تكملة الحديث السابق: «**وعليٌّ يقاتِل على التأويل**»[2].

وهي مرحلة تثبيت المضمون الحقيقيّ الأساس للإسلام حتّى يكون هناك ضمان لوصوله صحيحاً إلى الأجيال اللّاحقة.

وما مضى من عمل الأئمّة عليهم السلام لتثبيت السُنّة النبويّة الشريفة يدخل في إطار مرحلة التأويل. وفي هذا المقام أدعو للتأمّل في عام

---

(1) الصدوق، محمد، الخصال، ص650.

(2) المصدر السابق نفسه.

انتهاء زمن الغيبة الصغرى، الملاحَظ فيه أنّه يمثِّل انتهاءًا للفكر الاسلاميّ في مذاهبه العقديّة والفكريّة، بحيث إنّ ما جاء بعد ذلك يرجع إلى ما قبل هذا العام.

الثالثة: مرحلة التّمهيد، وهي المرحلة التي نعيش فيها، فبعد وصول السنّة النبويّة، وبالتالي النصّ الإسلاميّ في تبليغه إلى حدّ النصاب، أصبحت القضيّة الاستراتيجيّة الأساسيّة هي العمل لإقامة الدولة الإلهيّة والحكومة الربَّانيّة الكبرى التي يقودها الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف والتي ستوجد من خلال المسيرة الإنسانيّة الاختياريّة، فاختيار المجتمع المؤمن مقدّمة للوصول إليها.

وعليه فالمجتمع الايمـانيّ مطالَب بالتمهيد بإيجاد العوامل المساعدة لظهور تلك الحكومة الإلهيّة من خلال تهيئة البيئة المؤمنة القويّة التوَّاقة للعدالة، وكذا من خلال العمل على إزالة العقبات الواقفة أمام مسيرة تلك الحكومة، بدءاً من تزكية الأنفس للوقوف بصمود أمام إبليس، استمراراً بالتّيقّظ والانتباه ممّن عرَّفنا القرآن بكونهم يصدّون عن السير في سبيل تكامل المجتمع البشريّ، وصولاً إلى صناعة المستقبل الذي قد تكون أحاديث علامات الظهور تريد منَّا أن نصنعه، عبر صنع هذه العلامات. وعليه نكون منتَظَرين لا منتظِرين فقط.

وعليه فإنّ الموقف العمليّ في عصر التمهيد هو:

1. السعي للكمال الفرديّ من خلال الالتزام بظاهر الشّريعة عبر تقليد الفقيه الأعلم.
2. السعي للتكامل الاجتماعيّ من خلال التبصُّر ببصيرة الوليّ الفقيه، والالتزام بتوجيهاته الهادفة لإيجاد مجتمع التّمهيد، وإزالة العقبات أمام الظّهور المبارك.

هنا رست سفينة عقلي في مساري البحثيّ من الأسئلة الأولى في الوجود إلى الموقف العمليّ في هذا العصر.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

1. القرآن العظيم.

. أ.

1. الإيجي، عضد الدين، المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1997.
2. ابن أبي طالب، الإمام عليّ، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضيّ، تحقيق محمّد عبده، ط1، قم، دار الذخائر، 1412هـ.
3. ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا،ط)، (لا،م)، نشر أدب الحوزة، 1405هـ.
4. ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، (لا،ط)، (لا،م)، دار الكتب العلمية، 1398هـ.
5. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي، ط4، طهران، بنيا دفرهنگ إمام المهدي(عج)، (لا،ت).
6. ابن البرّاج، عبد العزيز، جواهر الفقه، تحقيق ابراهيم بهادري، ط1، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1411هـ.
7. أبو ريّة، محمود، أضواء على السُّنّة المحمّديّة، ط5، (لا،م)، البطحاء، (لا،ت).
8. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء

التراث العربيّ، (لا،ت).
9. ابن عساكر، عليّ، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1415هـ.
10. ابن أبي يعلى، محمّد، طبقات الحنابلة، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت).
11. الأشعريّ، عليّ، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقيّة محمود، ط1، القاهرة، دار الأنصار، 1397هـ.
12. ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، (لا،ت).
13. ابن عساكر، الدمشقيّ، تبين كذب المفتري، تحقيق محمّد الكوثري، مصر، المكتبة الأزهريّة، (لا،ت).
14. ابن حنبل، احمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت).
15. ابن الجوزيّ، عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصّحيحين، تحقيق عليّ حسن البوّاب، ط1، الرياض، دار الوطن، (لا،ت).
16. ابن الأثير، محمّد، الكامل في التاريخ، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، 1386هـ.
17. ابن حجر، أحمد، تغليق التعليق، تحقيق سعيد القزمي، ط1، بيروت، المكتب الإسلاميّ، 1405هـ.
18. ابن أبي عاصم (ت 287هـ)، أبو بكر، السُّنّة، ط3، بيروت، المكتب الإسلاميّ، 1413هـ.
19. ابن أبي شيبة، عبد الله، المصنف، تحقيق سعيد اللحّام، ط1، بيروت، دار الفكر، 1409هـ.
20. ابن حبّان، عليّ، صحيح ابن حبّان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، (لا،م)،

مؤسّسة الرسالة، 1993م.
21. الأصفهانيّ، أبو نعيم، حلية الأولياء، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1409هـ.
22. ابن الجوزيّ، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمّد عبد الله، ط1، بيروت، دار الفكر، 1987م.
23. الأربليّ، عليّ، كشف الغُمَّة، ط2، بيروت، دار الأضواء، 1405هـ.
24. الأصفهانيّ، أبو الفرج، مقاتل الطالبيّين، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (لا،ت).
25. ابن الأثير، عليّ، الكامل في التاريخ، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، 1965م.
26. ابن كثير، اسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق عليّ شيري، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 1988م.
27. ابن حجر، فتح الباري، ط2، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت)، ج6، ص 358.
28. ابن حجر، أحمد، الإصابة، تحقيق عادل الموجود وعليّ معوّض، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ.

.ب.

29. بركات، أكرم، يسألونك عن الله، ط1، بيروت، بيت السراج، 1433 هـ.
30. بركات، أكرم، دروس في علم الدراية، ط5، بيروت، بيت السراج، 2016م.
31. بركات، أكرم، التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، ط4، دار السّراج، بيروت، 2017م.
32. البحرانيّ، هاشم، غاية المرام، تحقيق عليّ عاشور، (لا، ط)، (لا، ن)، (لا، ت).
33. الباقلانيّ، محمّد، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد، ط3، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، 1993م.

34. البخاريّ، محمّد، التاريخ الكبير، (لا،ط)، تركيّا، المكتبة الإسلاميّة، (لا،ت).
35. البروجرديّ، عليّ، طرائف المقال، تحقيق مهدي الرجائي، ط1، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1410هـ.
36. البخاريّ، محمّد، صحيح البخاريّ، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1981م.
37. الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، ط3، مصر، دار المعارف، (لا،ت).
38. البلخيّ، أحمد (ت 507هـ)، البدء والتاريخ، (لا،ط)، برطرند شهر باريس، (لا،ن)، 1899م.

ت.

39. الترمذيّ، محمّد، الجامع الصحيح، منشورات دار إحياء التراث، بيروت،1983م.
40. الترمذيّ، محمّد، سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان، ط2، بيروت، دار الفكر، 1983م.

ث.

41. الثعلبيّ، أحمد، الكشف والبيان، تحقيق ابن عاشور، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 2002م.

ج.

42. الجاحظ، أبو عثمان، العثمانيّة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا،ط)، مصر، مكتبة الجاحظ، (لا،ت).
43. الجوينيّ، إبراهيم، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1409هـ.
44. الجوزية، ابن القيم، اعلام الموقعين عن ربّ العالمين، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت).

45. الجلاليّ، محمّد رضا، تدوين السُّنّة الشريفة، ط1، مكتب الإعلام الاسلاميّ، قم، 1413هـ.

ح.

46. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، تحقيق يوسف المرعشلي، (لا، ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا، ت).
47. الحمويّ، ياقوت، معجم البلدان،(لا،ط)،بيروت، دار إحياء التراث العربيّ،1399هـ.
48. الحنفيّ، التهانوي، قواعد في علوم الحديث.
49. الحكيم، محمّد تقي، أصول الفقه المقارن، ط2، قم، مؤسّسة آل البيت، 1979م.
50. الحسنيّ، هاشم معروف، سيرة المصطفى، (لا،ط)، بيروت، دار التعارف، 1986م.
51. الحليّ، ابن داود، رجال بن داود، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم، (لا،ط)، النجف، مطبعة الحيدريّة، 1972م.
52. الحلّي، الحسن، كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر،ط1، قم، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، 1411هـ.
53. الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمّد باقر المحموديّ، ط1، (لا،م)، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، 1990م.
54. الحلبيّ، عليّ، السيرة الحلبيّة، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، 1400هـ.

خ.

55. الخزار القميّ، عليّ، كفاية الأثر، تحقيق عبد اللطيف الخوئي، قم، بيدار، 1401هـ، ص 62.
56. الخطيب البغداديّ، أحمد، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، ط2،

(لا،م)، دار إحياء التراث، 1974م.
57. خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدّى، تحقيق عبد الصبور شاهين، ط1، بيروت، ترجمة ظفر الإسلام خان، (لا،ت).

.د.

58. الدارميّ، عبد الله، سنن الدارميّ، (لا،ط)، دمشق، مطبعة الاعتدال، 1349هـ.
59. الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزينيّ، (لا،ط)، (لا،م)، مؤسّسة الحلبي، (لا،ت).

.ذ.

60. الذهبيّ، محمّد، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ.
61. الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفّاظ، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت).

.ر.

62. الرازيّ، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد الطبيب، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت).
63. الرازيّ، فخر الدين، التفسير الكبير، ط3، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت).

. ز.

64. الزركليّ، خير الدين، الأعلام، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م.

. س.

65. السيوطيّ، جلال الدين، الدرّ المنثور في التفسير المأُثور، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت).

66. السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمّد اللحّام، ط1، بيروت، دار الفكر، 1990م.
67. السيوطيّ، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق لجنة من الأدباء، (لا،ط)، بيروت، مطابع معتوق إخوان، (لا،ت).
68. السيوطيّ، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م.
69. ابن سينا، أبو علي، الإشارات والتنبيهات، شرح نصير الدّين الطوسيّ، ط1، قم، نشر البلاغة، 1383 هـ.

. ش.

70. الشهيد الصدر، محمّد باقر، الفتاوى الواضحة، (لا،ط)، النجف، مطبعة الآداب، (لا،ت)، ص 90.89.
71. الشوكانيّ، محمّد، فتح القدير، (لا،ط)، (لا،م)، عالم الكتب، (لا،ت).
72. شمس الدين، محمّد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلاميّة، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت).
73. الشهرستانيّ، الملل والنحل، تحقيق محمّد كيلاني، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت).
74. الشاطبي الغرناطي، إبراهيم، الاعتصام، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، (لا،ت).
75. الشيرازي، محمّد، المبدأ والمعاد، ط3، قم، دفتر تبليغات إسلامي، 1422هـ.

. ص.

76. الصدوق، محمّد، كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1405 هـ ص318.
77. الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاريّ، (لا،ط)، قم،

منشورات جماعة المدِّرسين، 1403هـ.
78. الصنعانيّ، عبد الرزّاق، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت).
79. الصدوق، محمّد، التوحيد، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر، (لا،ت).

. ط.

80. الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الطبريّ، (لا،ط)، بيروت، الأعلميّ، (لا،ت).
81. الطبراني، سليمان، المعجم الأوسط، (لا،ط)، (لا،م)، دار الحرمين، 1995م.
82. الطبريّ، محمّد، بشارة المصطفى، تحقيق جواد الأصفهانيّ، ط1، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1420م.
83. الطيالسيّ (ت204هـ)، سليمان، مسند أبي داود الطيالسيّ، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا،ت).
84. الطبريّ، محمّد، المسترشد، تحقيق أحمد المحموديّ، ط1، قم، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة، 1415هـ.
85. مطهَّري، مرتضى، دراسات عقائديّة، ط1، ترجمة وتحرير جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، بيروت، 2015 م.
86. الطبرسيّ، أحمد، الاحتجاج، تحقيق محمّد باقر الخرسان، (لا،ط)، النجف الأشرف، دارالنعمان للطباعة والنشر، 1966م.
87. الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (لا ط)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدِّرسين، قم، (لا،ت).

.ع.

88. العجليّ، أحمد، معرفة الثقات، ط1، المدينة المنوّرة، مكتبة الدار، 1405هـ.

.غ.

89. الغزاليّ، أبو حامد، المستصفى، تحقيق محمّد عبد السلام عبد الشافي،

(لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1996م.

.ق.

90. القزوينيّ، محمّد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمّد عبد الباقي، (لا،ط)، (لا،م)، دار الفكر، (لا،ت).

91. القندوزيّ، سليمان، ينابيع المودّة، تحقيق سيّد علي الحسيني، ط1، (لا،م)، دار الأسوة، 1416هـ.

92. القرطبيّ، محمّد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أبي إسحاق أطفيش، بيروت، دار إحياء التراث، 1985م.

93. القميّ، محمّد، من لا يحضره الفقيه، ط2، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، (لا،ت).

94. القمّي، علي، الإمامة والتبصرة، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، قم، 1404هـ.

.ك.

95. الكليني، محمّد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط5، طهران، دار الكتب الإسلامية، 1363هـ.ش.

96. الكورانيّ، علي، تدوين القرآن، ط1، قم، دار القرآن الكريم، (لا، ت).

.م.

97. المقدسيّ، يوسف، عقد الدرر، تحقيق عبد الفتّاح الحلو، ط1، القاهرة، مكتبة عالم الفكر، 1399هـ.

98. المروزيّ، حمّاد، الفتن، تحقيق سهيل زكار، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1414هـ.

99. المقريزيّ، أحمد، الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيّد، ط1، مصر، مؤسّسة الفرقان، 2005م.

100. المطهّري، مرتضى، الإمامة، ترجمة كسّار، ط1، قم، أمّ القرى، 1417هـ.
101. المسعوديّ، عليّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، قم، منشورات دار الهجرة، 1404هـ.
102. المتّقي الهنديّ، عليّ، كنز العمال، (لا،ط)، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1409هـ.
103. المظفّر، محمّد، دلائل الصدق لنهج الحقّ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، دمشق، (لا،ط)، (لا،ت).
104. الموصلّي، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، (لا،م)، دار المأمون للتراث، (لا،ت).
105. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنـوار، تحقيق محمّد اليزدي ومحمّد البهبودي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 1403هـ.
106. مرتضى، جعفر، حقائق هامّة حول القرآن الكريم، ط1، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1410هـ.
107. المظفّر، محمّد رضا، المنطق، تحقيق ونشر مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدّرسين، (لا،ط)، قم، (لا،ت).
108. موريسون، كريسي، سرّ خلق الإنسان، ترجمة محمّد سعيدي إلى الفارسيّة.

.ن.

109. النيسابوريّ، مسلم، صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت).
110. النجميّ، محمّد صادق، أضواء على الصحيحين، ترجمة يحيى البحرانيّ، ط1، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، 1419هـ.
111. النوويّ، يحيى، شرح صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، 1987م.

112. النسائي، أحمد، خصائص أمير المؤمنين، تحقيق محمّد هادي الأميني، (لا،ط)، طهران، مكتبة نينوى الحديثة، (لا،ت).
113. النسائي، أحمد، فضائل الصحابة، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، (لا،ت).
114. النسائي، أحمد، السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفّار البنداري وسيّد حسن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ.

المراجع لأجنبيّة

115. Nge pathimo, kadhila. CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.NSSC BIOLOGY MODELE/I/UK.
116. https://nasainarabic.net/r/a/2791.
117. http://ksag.com/index.php/Articles/SingleArticle/artID/1490#pageContent.
118. http://www.syr.res.com/article/4331.html
119. «**A Salmons life: An Incredible Journey**». U.S. Bureau of land Management. Archived from the original on 25 February 2009.
120. Brockmann, J.1985. tool use in digger wasps (Hpmenoptera: Sphecinae).A Journal of Entomology,92: 309330..
121. Darwin.online.org.uk/content/frameset? Pageseq=118&itemID=CUL.DAR26>1121.&viewtype=side.
122. Chandrasekhar.subrahmangan.Newtons principia for the common reader.oxford university perss2003..
123. Frisancho A.R:Humain Adaptation and Accomodation, University of Michigan.

124. A.VI.Shuvila M.R. VIgaraghavan. Abiotic pollination. biology of pollen APH publishing.
125. STEVEN.M.STANLEY«**MOUNTAIN BUILDING**». earth system history (2nd edition) MACMILAN (2004).
126. HTTP://WWW.islamic.awareness.org/quran/text/mss/

الفهرس

المقدّمة...5

مرفأ الإنطلاق 7

- ما أنا؟ 7
- هل أحدٌ خلقني؟...7

الأسئلة الأُولى 9

لماذا أسأل؟..19

هل يوجد خالق؟...25

المرفأ الثاني.. 49

- من هو الخالق؟...49
- لماذا خلقني؟ 49

هل الخالق ربٌّ كامل؟...51

هل الخالق الربّ الكامل واحد؟...................................57

لماذا خلقني اللّه؟ 65

المرفأ الثالث 75

- من هو المرسَل؟ 75
- ما هي رسالته؟ 75
- هل تحتاجُ إلى مُكمِّل؟...................................75

من هو المرسَل من الله؟ 77
ما هي رسالة الله؟..87
هل رسالة الله منزَّهة؟..99
هل يكفي القرآن وحده لبيان خارطة الكمال؟.............. 109
المرفأ الرابع: أين هو مُكمل الرسالة عند أهل السُّنّة؟ 117
المرفأ الخامس: أين هو مُكمل الرسالة عند الشيعة؟......139
المرسى: ما هي وظيفتي الآن؟.......................... 177
ما هو المعبَر العمليّ للتّكامل في هذا العصر؟ 179
ما هي قضيّتي الأساسيّة في هذا العصر؟...................... 187
المصادر والمراجع 201
المراجع الأجنبيّة 212
صدر للمؤلِّف.. 217

صدر للمؤلِّف

صدر للمؤلّف عن بيت السّراج للثقافة والنشر:

1. حقيقة الجفر عند الشيعة.
2. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة (حائز جائزة أفضل كتاب لعام 2003 م في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران).
3. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف.
4. دروس في علم الدراية (معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة).
5. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين (مترجم إلى الفارسية).
6. محاضرات في الثقافة الإسلامية.
7. هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
8. برقيّة الحسين عليه السلام. (مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة).
9. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء).
10. وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء).
11. قافلة البشريّة، من سفينة نوح إلى دولة المهدي عجل الله فرجه الشريف.
12. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة.
13. أحكام النساء.
14. التبليغ من وحي التجربة.
15. سفينة العقل. رحلة باحث عن الحقيقة (مترجم إلى اللغتين الفرنسية والعربية)

سلسلة الأدب المقاوم:

16. خيوط القبعة.
17. حائك القبعة.
18. رأيت في الجرود.
19. سرٌّ حجابي.
20. مشاهد شامية

مجموعة يسألونك (مترجمة إلى اللغات الانكليزية والفرنسية والهوسا والسويحلية):

21. يسألونك عن الله.
22. يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام.
23. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام.
24. يسألونك عن الوليّ.
25. يسألونك عن التقليد.
26. يسألونك عن القبر.
27. يسألونك عن القيامة.

مجموعة تعارفوا:

28. دليل العروسين، بين الخطوبة والزفاف.
29. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات.
30. 3 حقوق لحياة زوجيّة ناجحة.
31. كيف تجعل ولدك صالحًا؟
32. كيف نتواصل مع الناس؟
33. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟
34. آية الوصايا العشر.

مجموعة يزكّيهم:

35. ميزان السّير والسّلوك.
36. برنامج السّير والسّلوك.
37. هكذا تكون سعيدًا. مترجم إلى الإنكليزية.
38. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟
39. شهر الله وآدابه.مناسباته. أولياؤه.
40. لا تَقرَبوا.
41. كيف نتواصل مع الله؟

سلسلة الكتب البرتغالية:

42. .Paulo em busca da verdade
43. .«**Assalat**»A ORACAO NO ISLAM
44. .(UN RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

سلسلة الأبحاث الفكرية

45. الأمّة بين ولاية الفقيه ومرجعيّة التقليد.
46. الآخر في المنظور الدينيّ
47. فلسفة الشَّهادة، رؤية تحليليّة في ضوء قوَّة الإدراك ومتعلَّقاته
48. الوطن السياسيّ مقاربة تأصيليّة.
49. الاختلاف العقديّ في نظر العقل المؤمن.

يمكنكم قراءة جميع الكتب عبر التطبيق الالكتروني «**مكتبة سراج القائم**» من خلال «**رمز الاستجابة السريعة**» (QR code)